٧٤٨٨
١٠٨٤١٨

72336 — 73864 REGD No LW /NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

APRIL — MAY — 1993

صدر حديثاً :

المَلك الصالح المُصلح

السُّلطان محيُّ الدّين اورنگ زيب عالمگير

حملة الأمير الطورية الأمير المغولية الكبيرة الممتدة من شرقي الهند إلى غربي أفغانستان

حياته الدينية الزاهدة، أعماله الإصلاحية الحاكمة
وماثره التنظيمية والإدارية والتدوينية

قطعة ملتقطة من كتاب
"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"
للعلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله

قام بالنشر
دار عرفات دارة الشيخ علم الدرراي بريلي (الهند)
المجمع الاسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

قام بالنشر و التوزيع شاهد حسين (مؤسسة الصحافة و النشر) ندوة العلماء
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

شعار دعوتنا التوحيد
إلى الإسلام
من جديد

٧٤٨٨
١٠٨٤١٨

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العـــــدد الرابـع - المجـــــلد ٣٨
ذو الحجـــة ١٤١٣هـ - مايو و يونيو ١٩٩٣م

تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكناؤ الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الرابع - المجلد الثامن و الثلاثون

ذوالحجة ١٤١٣هـ-مايو و يونيو ١٩٩٣م

المـــــراسلات :

البعث الإسلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » تجتـــاز الآن عامهـــا **الثامن و الثلاثين** ، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحـده ، فنحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى فى الظروف القاسية التى تجتازها الأمة الاسلامية ويتعرض لها المسلمون فى كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغـلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى تتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمـــة الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة روبيـــة ثمن النسخة عشر رويات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .
و ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهنـــــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجـلة غير ملتزمـــة بكل فكر يشر فيها .

في هذا العدد

الافتتاحية :

جوانب إعلامية مشرقة في الحج ! — سعيد الأعظمي ٢

التوجيه الإسلامي :

اليهودية العالمية تتحدى الصحوة الإسلامية — سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ١٠

أصول العلاقات الدولية ... القلم أمانة في أيدينا — أ. د. محمد الدسوقي ١٨

فضيلة الأستاذ المرحوم السيد محمد الحسني ٣٤

الدعوة الإسلامية :

الجهل بالدين — د/محمد بن سعد الشويعر ٣٩

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الإنسان — د/شوكت محمد عليان ٤٦

تيارات الغزو الفكري . — د/ أحمد عبد الرحيم السايح ٦٠

الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به — الأستاذ الكبير علي القاضي ٦٦

دراسات و أبحاث :

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس — د/عبد الحليم عويس ٧٢

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه — د/تقي الدين الندوي ٧٩

العالم الإسلامي :

قل موتوا بغيظكم — فضيلة الشيخ سعود بن محمد آل عوشن ٨٦

رسالة ولد إلى أبيه بعد وفاته : طيبة الطيبة (شعر) — الأستاذ محمد الخزنوي ٨٨

الشيخ محمد ضياء الدين الصابوني ٩٢

صور و أوضاع :

لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه — واضح رشيد الندوي ٩٤

صدر حديثاً :

« الحلول الشرعية للمشكلات المعاصرة » — قلم التحرير ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

جوانب إعلامية مشرقة في الحج !

شريعة الله العادلة السمحاء التي تقوم على قاعدة صلبة من العقيدة الصافية تمنح الحياة الإنسانية منهجاً عادلاً كاملاً يشمل جميع جوانبها المعنوية والمادية ، ويوجه الإنسان نحو الوجهة الصحيحة السليمة التي تتولى إسعاده في مراحل الحياة كلها ، وتتكفل له ببناء مستقبل زاهر في الدنيا والآخرة ، وإن دراسة واقعية لتوجيهات الشريعة وأحكامها توفر لنا برهاناً ساطعاً على أن الإنسان المسلم لا يواجه لحظة ضياع أو تعطيل لقواه العملية وطاقاته الفكرية وبرامجه الحيوية ، إنما هي حياة منظمة تنظيماً دقيقاً يعيش فيها مع جميع مطالبه النفسية ، والعقلية ، ومناسباته التشريعية، وواجباته الروحية والمادية ، يعيش فيها مع خلوات النفس الهادئة ، وساعات العمل الصاخبة ، وفي جميع الأوضاع والظروف ، دون أن يتناسى للحة واحدة أنه يتقيد بقيود الشريعة والأخلاق ، ويتمسك بذيل الطاعة والامتثال ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ .

ولقد هدى الله الأمة الاسلامية بنور الشريعة التي جاء بها محمد -ﷺ- من عند ربه والكتاب المبين الذي أنزله على عبده الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد شملت هذه الهداية الربانية الحياة الإنسانية بكاملها بجميع فروعها وأصولها، وظواهرها وخفاياها ، لكي لا تستيئس

وتفشل خلال رحلة الحياة ، وضغوط النفس والشهوات ، بل تمثل الشجاعة ، والنشاط ، والرؤية إلى مستقبل بعيد بعزم أكيد ، وأمل وطيد ، ذاك هو شأن أمة القيادة والتوجيه ، التي جعلها الله تعالى أمة وسطاً تقوم بواجب الشهادة على الناس ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ .

من هنالك تحملت هذه الأمة مسئولية الشهادة على الناس والوصاية على العالم أجمع ، ذلك لأنها خير أمة أخرجت للناس ، فهي مسئولة عن بناء هذا الكون وصيانته عن كل ما يهدد سلامته ، وينخر كيانه ، ويرجع به إلى شريعة الغابات وقانون العصابات ، إنها أمة الإسلام التي ظهرت على منصة العالم على فترة من الأمم ، وتولت زمام القيادة العالمية ، والتوجيه البشري ، في ضوء الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى ديناً كاملاً . ومنهجاً شاملاً ، ونظاماً عادلاً ، ارتفع صرحه على خمسة أركان صرح بها رسول الله -ﷺ- في حديثه الصحيح الصريح الذي يقول فيه : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان ، ولكل من هذه الأركان تفاصيل واضحة معلومة وأحكام ، وأسرار وحكم ، تولت الشريعة الإسلامية بيانها بشئ كثير من الدقة والعمق والوضوح .

ويأتي في إطار المناسبة شهر ذي الحجة الحرام ، فيذكرنا بالركن الرابع الذي هو حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، وقد أكرم الله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الاستطاعة الكريمة ، ويأتون إلى بلد الله الأمين ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، ولا شك فإن الله سبحانه وتعالى قد أودع في هذا الركن جوانب إنسانية مشرقة كثيرة تتمخض عن هذا الاجتماع التعبدي الذي لا يوجد له نظير في أي ديانه ، أونظام أو فلسفة ، إنما هي ميزة الأمة التي تنتمي

إلى الإسلام وتربط مصيرها بعبادة الله الواحد القهار .

يتضمن قوله تعالى ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ كل نوع من المنافع العلمية والدينية والاقتصادية والسياسية والإعلامية ، بتقدير من الله تعالى ، أما الجوانب الإعلامية فهي أبرزها مظهراً ، ذاك أن ما يقوم به الحجيج من أعمال التعارف والذكر والاجتماع على كلمة واحدة ، وهتاف واحد في صعيد واحد ، وما يتجلى في أداء مناسك الحج من مظاهر الوحدة ، والثقة ودعم عقيدة التوحيد ، ورفع التلبية وتكرارها ، يحمل كل ذلك من الفوائد الإعلامية الواقعية ما لا تحلم به أجهزة الإعلام في عصر التقدم العلمي والرقي الحضاري ، فمن المعلوم أن الإعلام لا يهدف إلا تركيز الفكرة أو الصورة ، وترسيخ المفاهيم والمشاهد بوسائله المتعددة ، ثم التأثير بذلك كله في عقول الناس ومرئياتهم ، وقد قيل إن الإعلام سلاح ذو حدين ، يبنى ويهدم ، وينفع ويضر ، كذلك أعمال الحج تحقق هذه الغاية الإعلامية من تركيز العقائد وفضائل الأخلاق وتحريك الهمم ، وإيقاظ الروح ، وإشعال جمرة الإيمان وإذكاء نار العداوة والبغضاء ضد الشيطان والوثنيات والكفر ، والعادات الخبيثة ، والأعمال القبيحة ، والمعاصي المدمرة ، وهي تبنى معالم الهدى ، والسعادة ، والعلم ، والإيمان ، وتخطط للمستقبل الإنساني النيّر ، وتوفر لأهلها فرصاً سانحة للوحدة والتضامن والتعاون على البر والتقوى ، وتهدم مسالك الغيّ والضلال ، ومناهج الظلم والطغيان ، وتحطم أغلال الشرك والعبودية والخنوع لغير الله .

إذا كان الإعلام يرسم الخطوط ، ويضع القواعد ، ويفصل المناهج ، لتركيز الفكرة وتصوير الآلام والأحلام والآمال والأهواء ، وتمثيل مناظر اللهو والمجون ، والفواحش والنكبات والصور الإنسانية من جميع الأنواع ، فإن أعمال الحج ومناسكه تمثل المشاهد الإنسانية والمناظر الجذابة من الرباط الوثيق بين العبد وربه وبيته ومشاعره ، والعلاقة

المخلصة الجادة بصاحب الشريعة ، وحامل الوحى ورسالة الإسلام ، محمد -ﷺ- ، الذي بعث رحمة للعالمين ، إنها تصور ذلك الواقع الإنساني الذي رفع البشر إلى أعلى قمة من السعادة ، والهداية ، والطمأنينة والهدوء ، كذلك فإن في الحج كل نوع من الإعلام والإبلاغ والتوجيه ، والدعوة ، والتمثيل ، والتصوير ، فيه كل نوع من دروس الحب ، والهيام ، والتفاني في سبيل الهدف السامي ، وفيه تزكية العواطف وتنزيه المشاعر ، وتنمية روح الفضائل بإزاء العداوة للشيطان والكراهية للرذائل ، والفرار من خداع النفس ، وأخذ الحذر من كل ما يغرى العبد المؤمن في طريقه إلى الله ، ومن كل ما يخدعه من المظاهر الكاذبة المزخرفة ، وحدث عن الجوانب الإعلامية المتوافرة في هذا الركن العظيم ، في النواحى الإيجابية والسلبية كلتيهما ، ولا حرج .

ثم إن جماعات الحجيج التي تمثل جميع عواصم العالم ، وطبقات الأمة ، ومجتمعات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، تحمل الأنباء والأخبار عما يجري حول العالم من الظروف والأوضاع المنوعة وتتولى مهمة كشف الحقائق عن كثير من شئون السياسة والاجتماع العالمية ، والنوايا والتحديات التي توجه إلى العالم الإسلامي والمسلمين لتصفية الوجود الإسلامي حيناً ، وإضعاف معنويتهم ، وثقتهم بخلود الإسلام ، وعالمية رسالته ، حيناً آخر .

كذلك تتضاعف البرامج الإعلامية بأنواعها وألوانها ، وتنشط وزارة الإعلام في المملكة العزيزة لنقل المشاهد والحقائق بأجهزة الإعلام المختلفة ، إلى جميع أنحاء العالم ، مما يفيد المجتمعات الإنسانية في العالم كله ، ويزودها بصور حية ، وأشكال متحركة ، لمناسك الحج وأعماله ، في أجواء الربوع المقدسة حيث يعيش ملايين الحجاج في وحدة

و وئام ، وحب وسلام ، ليس له نظير في أي أمة ولا تاريخ ، ولا سيما الخطبة الشاملة التي يلقيها الإمام في يوم عرفة من على منبر المسجد العظيم ، وفيها من بيان أحكام المناسك ودروس الحج ، وتعظيم شعائر الله ، وتقديس المشاعر ما يجسد تعاليم الإسلام ، لبناء الحياة الإسلامية ، ويبين مقاصد الشريعة من خلال هذا الركن العظيم .

أما خجة النبي -ﷺ- ففيها قدوة للأمة الإسلامية جمعاء ، كلما استطاع أفرادها إلى حج بيت الله الحرام سبيلا ، لقد علم النبي -ﷺ- أمته مناسك الحج بطريق عملي ، وفسر لها معالمه ومراميه ، ومفاهيمه ، بحيث لم يترك صغيرة ولا كبيرة ، دقيقة ولا جليلة إلا أحصاها ، وقد سجل التاريخ النبوي الإسلامي خطبته العظيمة الجليلة التي ألقاها من فوق جبل النور بعرفات وخاطب العدد الهائل من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - و كان يبلغ هذا العدد أكثر من مائة ألف ، و قيل كان الصحابة الكرام في عدد لا يأتي عليه الحصر و الإحصاء ، على ما يشير إليه التاريخ .

ولم تكن هذه الخطبة مجرد كلام يُساق في مناسبة عظيمة ، وإنما كان ميثاقاً للحياة الإسلامية والاجتماعية ، لا ينطق به إلا النبي المبعوث رحمة للعالمين ، الذي كان كلامه وحيا من الله ، فكل ما جاء في هذه الخطبة يحمل مفاهيم عالية من حرمة الحياة الإنسانية وما والاها من أموال ونساء وأولاد وشئون سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ، انظروا إلى شمولية هذه المفاهيم في قوله : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وربا الجاهلية موضوع وأول

ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً .

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ».

ومن خلال الكلمات المتزنة الدقيقة التي تتركب بها بنية هذه الخطبة العظيمة يتجلى ذلك النبوغ الفكري والاحتواء النبوي اللذان ليس لهما نظير في كلام عامة البشر، و فيها من المؤشرات الإعلامية و المفاهيم البلاغية ما يعتبر قاعدة أساسية للفنون الإعلامية التي تزود الفكر الإعلامي في القرون المتأخرة بغذاء دسم منها ، ألم تروا كيف يوجه رسول الله -ﷺ- السؤال عن تبليغ كلامه إلى الناس ، وكيف يرد عليه ، ويشهد الله على ما قال ، وكيف يطلب إلى ذلك من الشاهد والغائب يقول : « وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد ، ثلاث مرات » وقال في رواية : « ألا فيبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وهل يخفي أن تبليغ الرسالة الموضوعية والكلام الجادّ ، من الشاهد إلى الغائب على أعلى درجة من الإعلام ، وأقرب إلى إذاعة الكلام بأجهزة الإعلام المختلفة ، من بثّ الصور الناطقة على الهواء .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

اليهودية العالمية تتحدى الصحوة الإسلامية !

سماحة العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

لا شك أن اليهودية العالمية قد نجحت نجاحاً فوق الحساب في تحقيق مراميها وأهدافها الكثيرة ، التي ظلت آلافاً من السنين تحلم بها في تطبيق مخططاتها الكثيرة التي كانت تعتبر ضرباً من غرائب الهوس وطرائف الجنون في سهولة ويسر لم يكن يتخيلها أحد ، لا العرب ولا اليهود أنفسهم .

فقامت دولة (إسرائيل) في قلب المنطقة العربية الإسلامية المقدسة ، وبقيت جاثمة على صدر العرب والمسلمين واستطاعت بنفوذ اليهود العالمي أن لا تحتفظ بكيانها فحسب بل لم يزدها الزمان إلا قوة واستحكاماً ثم استطاعت أن تنتصر في الخامس من حزيران ١٩٦٧م ، واستولت على القدس وعلى الضفة الغربية وعلى شبه جزيرة سيناء وأصبحت قناة السويس وكثير من مدن مصر الساحلية مهددة معرضة للخطر الإسرائيلي ، وتوغلت في الأراضي السورية واستولت على عدد من المواطن الاستراتيجية المهمة ، واستطاعت أن تضرب عدة مطارات عربية في جرأة و وقاحة وهي الآن تحلم بالاستيلاء على هذه المنطقة العربية كلها وتهدد الأماكن المقدسة في قلب الجزيرة ويتحدث بعض زعمائها باسترداد ما فقده آباؤهم من حصون ومستعمرات يهودية في الجزيرة العربية وجلوا عنها في المد الإسلامي الأول ، بل يمنى اليهود أنفسهم بأن يصبحوا يوماً من الأيام السطوة العالمية التي تملى أوامرها وتفرض ارادتها على الرؤساء والوزراء والقادة والزعماء في العالم كله

وتحقق الحلم البعيد الذي رآه الربيون في التلمود حكماء صهيون في بروتوكلاتهم .

فهل يدوم هذا الوضع ؟ وهل تحقق الصهيونية ما بقى من أحلامها ومخططاتها ؟ وهل يترك العرب والمسلمون تحت رحمة هؤلآء الطامعين ؟ وهل يفسح لهم المجال وبرخى لهم الحبل حتى يستولوا على العالم كله ؟ ويحققوا أغراضهم وما يدينون به من فلسفات وأفكار ونظريات ؟ وهل يمنحون القيادة للنوع البشري وتتاح لهم الفرصة في توجيهه كما أتيحت لرسالات وفلسفات أو قوى وطاقات أو مدنيات وحضارات في الزمن السابق ؟

إننا لا نستطيع أن نجيب عن ذلك جواباً حاسماً حتى نقف وقفة قصيرة أمام هذا الكون الفسيح البديع ، وما عرفناه عن خالقه ومبدعه وأسمائه وصفاته ، أفعاله وارادته وسننه وقوانينه ، وأمام التاريخ البشري وما وصل إلينا من تجاربه وحوادثه .

ولا نستطيع أن نحكم في ذلك بشئ حتى نحكم على السلالة البشرية ومدى صلاحيتها والطبيعة البشرية ونصيب الخير والشر فيها ونحكم على مستقبل الجيل البشري ومصير هذا العالم .

فإذا قررنا أن خالق هذا الكون الحكيم العليم لم يخلق هذا الكون وهذا الكوكب الذي نسكنه إلا للفساد والدمار والفوضى والانحلال والظلم والقسوة والوحشية والهمجية والمؤامرات والدسائس ولم يهتم به هذا الاهتمام - الذي يتجلى في جميع مجالاته من إبداع وإتقان وحسن وجمال وترتيب وتنسيق ، يتجلى في إرسال الرسل وإنزال الكتب حيناً بعد حين وإلهام المصلحين ونصر الصالحين الصادقين وإدالة الخير من الشر وتغليب الصلاح على الفساد جيلاً بعد جيل - إلا ليسيطر عليه عنصر

ينتمي إلى بعض الأنبياء في أقدم العصور وتجري في عروقه قطرات من دمهم لا ترى بأدق مكبرة بيولوجية ولا تحسب بأكبر مهارة رياضية ولتهيمن عليه وعلى جميع طاقاته وذخائره وثرواته سلالة بشرية واحدة (شعب الله المختار) والأسرة الإلهية المقدسة .

وإذا قررنا أن هذه السلالة البشرية الكريمة هي الخلية البشرية الوحيدة التي خصها الله بجميع الطاقات وبجميع المواهب وقد ارتكزت فيها كل صلاحية وكل عبقرية وكل إبداع . أما لخلايا البشرية الأخرى التي يتكون منها النسل الإنساني الذي يملأ العالم فهي حثالة كحثالة الشعير وبراية كبراية الأقلام مجردة عن كل جدارة وصلاحية وقدرة على الإبداع والإنتاج وعن جميع المواهب والمنح .

فالعنصر اليهودي له وحده الحق في السيادة والحكم على النوع البشري أما سائر الناس فيجب أن يساقوا كما تساق قطعان البهائم الحقيرة وكل ما عدا هؤلآء الأبناء المدللين والسعداء الموهوبين فقطع شطرنج يلعب بها الدهاة اليهود والأكرمون في قدرة ومهارة ويضربون بعضها ببعض ، ويغلبون بعضها على بعض ويهزمون بعضها أمام بعض وهي لا تملك من أمرها شيئاً .

وإذا قررنا أن الطبيعة البشرية هي الطبيعة الشريرة التي تفضل التدمير على البناء والإفساد على الإصلاح وهي متشائمة دائماً ، حقوده ناقمة على العالم أجمع ساخطة على الماضي والحاضر ثائرة موتورة تحمل الأحقاد القديمة والجديدة وتنظر إلى كل قضية وحادثة بالمنظار الأسود ولا ترى إلا الجانب الضعيف فيما صنع الصانعون وبنى البناؤون وخلف المخلفون متذمرة تضيق ذرعاً بكل شئ تحتقر غيرها ، وهي في الحقيقة مصابة (بمركب النقص) لا تعرف للسلالة البشرية كرامة ولا للإنسان

شرفاً ، ولا تعرف غاية أسمى من المادة وتحقيق الرغبات الخسيسة تقسو عند الانتصار وتجبن عند الهزيمة وتستخدم جميع الوسائل للوصول إلى الغاية ولا تتورع عن أخس الأعمال وأفحش المظالم وأحط الأخلاق وأوقح نفاق .

وإذا قررنا أن العامل البناء الوحيد القوي المؤثر في بناء المدنيات وصنع التاريخ وإسعاد البشرية وسياسة الشعوب والأمم هو الدهاء الخبيث والمهارة الإجرامية واللباقة الهادمة المدمرة والإفساد بين الناس ، والقضاء على الضمائر وفك نظام الأسرة وإشاعة الرذيلة والانحلال وإحداث الأزمات بعد الأزمات ، وأن الوسيلة الأقوي التي سيطرت على مصائر الأمم وأعظم حوادث العالم وغيرت مجرى التاريخ هي المؤامرة الخفية وأن أكبر قوة يعتمد عليها هي الغدر ونكران الجميل واللؤم والخسة وأن الخلق المحبب إلى الله الضامن للغلبة والانتصار والعائد على البشرية بالسعادة والهناء هو الكبرياء والأثرة (١) .

وإذا قررنا أن مصير الإنسانية حالك مظلم لا أمل في سعادة وأمن وسلام ولا في إخاء ووئام وأنه لا يزال ينتقل من حرب إلى حرب ومن نكبة إلى نكبة ومن شئوم إلى شئوم ومن ثورة إلى ثورة ، حتى ينتهي إلى جهنم التي سعرتها الأغراض المتطاحنة والأحقاد المتواصلة ..

وإذا قررنا أنه ليس هنالك قضية رسالة وهداية وقضية عقائد ومبادئ و قضية ضمائر و قلوب و قضية أخلاق و فضائل و قضية دين مختار

---

(١) ولذلك يصفهم القرآن بالمغضوب عليهم وجاء هذا الوصف في سورة الفاتحة التي تتكرر وتجب قراءتها في كل صلاة ولا يتذوق هذه الكلمة البليغة ولا يعرف مدى انطباقها على اليهود إلا من عرف سيرتهم والدور الذي لعبوه في تاريخ الإنسانية .

وشريعة مصطفاة ومنهج مفضل للحياة إنما هي قضية سلالة ونسب ودم وعرق وقضية ثارات وتراث وأحقاد وضغائن واسترداد لمجد ضائع وأرض مسلوبة أو محتلة وإشباع لرغبة الطموح أو غريزة الاستيلاء وطبيعة الجشع .

إذا قررنا ذلك كله فلا شك أن اليهود هم المرشحون المهيئون للسيادة والغلبة وأن هذا الوضع سيظل ويدوم وأنه لا يعوق عن توسعهم في الحدود والامتلاك والاحتلال وعن تحقيق مخططاتهم شئ فإنها هي الصورة الحقيقية التي رأيناها فيما عندنا من أسفار العهد القديم وفي صحف التلمود وفي بروتوكولات حكماء صهيون ، وفي ما وصل إلينا من خطب زعمائهم ومحاضر جلساتهم السرية وفي ما تحقق من أعمالهم وإجراءاتهم منذ استولوا على القدس وعلى المدن الإسلامية العربية .

و هي صورة الحقد والاحتقار والنقمة والسخط على البشرية وتقديس العنصر اليهودي والدم الإسرائيلي إلى حد التأليه وتجريد السلالة البشرية الباقية في جميع أدوار التاريخ وفي جميع أنحاء العالم عن كل جدارة وصلاحية ، والتصميم على الاستيلاء على العالم كله لمصلحة اليهود وحدهم والبغضاء المتأصلة في النفوس والضراوة بالشر والفساد كطبيعة أصيلة والعنف والعناء كأخلاق قومية وعادات موروثة وهي الصورة التي تقترن بتاريخهم اقتران المزاج بالإنسان وبرافقهم مرافقة الظل ، فالمؤامرة قوام تاريخهم وعماد حياتهم والقطب الذي يدور حول نشاطهم وذكائهم ، وهم الرأس المفكر والعقل المدبر والأصبع المحرك في كل ثورة وفي كل مؤامرة (في كل مذهب هدام وفي كل فلسفة مدمرة وفي كل قلق يسود

(١) وضع بنيامين دزرائيلي ، اللورد بيكونز فيلد ، ورئيس وزراء بريطانيا >>

وفي كل أزمة تحدث - اقتصادية كانت أو سياسية واجتماعية كانت أو خلقية ولا أبلغ ولا أدل من كلمة نابغتهم الدكتور أوسكار ليفي في وصف شعبه (نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم و مفسديه و محركى الفتن فيه وجلاديه) .

وليست لليهود - ولم تكن في دور من أدوار حياتهم - أي رسالة عالمية وطبيعة الرسالة العالمية لا تتفق مع تقديس العنصر والدم والغلو في تعظيم سلالة واحدة واعتقاد كل نزاهة وجدارة وصلاحية للتقدم الروحي والسمو النفسي والقرب من الله تعالى في نسل واحد وأرومة واحدة وعدم الاقتناع بعقيدة المساواة البشرية و وحدة الأصل والجنس في بني آدم وتكافؤهم في فرص الرقى والتقدم والطهارة والنزاهة وبلوغ أعلى درجات الإيمان والإحسان والرحمة والرضوان فطبيعة تقديس العنصر والدم وحصر النجابة والنبوغ والعبقرية والعظمة والاختصاص بخالق هذا الكون تعارض كل المعارضة العطف على النسل الإنساني والحماسة في نقل أفضل ما عندها من رسالة وسعادة إلى باقي البشر وسائر بني آدم وإشراكهم فيما عندها من علم ثابت وعمل صالح وأخلاق كريمة بل إن هذه

>> العظمى اليهودي ، الملاحظة التالية على لسان « سيدونيا » بطله اليهودي ، وهي تصور اليهودي العالمي التصوير الحقيقي :

« ليس في وسعك أن تلاحظ حركة فكرية عظيمة في أوربا لا يكون لليهود فيها إسهام ضخم جداً ، فلقد كان اليسوعيون الأوائل من اليهود والدبلوماسية الروسية الغامضة التي تزعج الدول الأوربية الغربية يقوم على تنظيمها وتنفيذها اليهود ، والثورة العظيمة التي يجرى إعدادها في ألمانيا الآن والتي ستكون بمثابة حركة إصلاح ديني ثانية ، ولعلها أعظم من الحركة الأولى ، والتي لا يعرف عنها إلا القليل الآن في انجلترا ، تتطور الآن ، وتنمو نموا كلياً تحت إشراف اليهود . » (اليهودي العالمي لـ « هنري فورد » : ص/٦٦) .

الطبيعة تجنح بطبيعة الحال إلى تضييق دائرة الهداية والدعوة وتحديدها في عنصر واحد وفي سلالة واحدة لذلك كان من الطبيعي أن الديانة اليهودية لم تكن في زمن من الأزمان دعوة عامة للخلق ولم يكلف اليهود - في ضوء من نصوص كتبهم المقدسة بتبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً (١) بل وردت نصوص تمنع عن ذلك وتحصر نشاطهم الدعوى في نطاقهم العنصري المحدود ، وكان من الطبيعي والمعقول جداً أن يميزوا دائماً بين بني إسرائيل وبين الشعوب والقبائل الأخرى ، وأن يضعوا للخير والشر والبر والاثم مقاييس مختلفة تختلف باختلاف السلالات والشعوب وأن لا يتحرجوا من أكبر إجرام أو عدوان مع شعب آخر، وذلك ما أخبر به القرآن عنهم فقال : ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ ومن الطبيعي والمعقول جداً أن تتعرض جميع الشعوب والسلالات التي يحكمها اليهود لكل اضطهاد وعسف وبخس نصيب وتطفيف كيل لأنهم لا ينظرون إليها كأسرة إنسانية زميلة أو سلالة بشرية شريفة وإنما هي قطيع من الغنم أو مجموعة من عجماوات أو جمادات خلقها الخالق لتكون آلة صماء في يد أبنائه المدللين (٢) .

اذن فالفطرة السليمة التي أودعها الله في غالب البشر وما تحدثت الأديان والشرائع والكتب المنزلة عن عدل الله ورحمته وحكمته وإرادته

---

(١) تقول السيدة الفاضلة المهتدية مريم جميلة (Margaret Marcus) اليهودية سابقاً في كتابها « الإسلام ازاء أهل الكتاب ماضياً وحاضراً » باللغة الانجليزية : « إن اليهود لا يبلغون دينهم إلى غيرهم عملياً فحسب ، بل إنهم لا يرحبون بالدخول في ديانتهم ، ولا أعرف إلا مثالين في تاريخهم الطويل حين دخل غير اليهود في اليهودية في عدد كبير ، كان ذلك مرة في اليمن ، في زمن سبق البعثة المحمدية ببضعة قرون ، ومرة ثانية اعتنق عدد من غير اليهود الديانة اليهودية في مملكة خزار التاتارية الأصل التي عاشت مدة قصيرة في روسيا .

(٢) وهي نفس النظرة التي كان ينظر بها البراهمة والفاتحون من الآريين في الهند إلى سكان هذه البلاد القدماء ، وعليه تأسس نظام الطبقات في الديانة البرهمية وفي المجتمع الهندي ولا يزال هو النظام المتبع .

من صنع هذا الكون الفسيح البديع المنظم المنسق - وخلقه للجيل البشري واستخلافه وتكريمه وما أودع في الأشياء من طبائع وما وضع لنهضة الأمم وانحطاطها وقيام الحكومات وسقوطها وازدهار الديانات وذبولها من سنن وقوانين وما تحقق عند جميع الأديان الفطر السليمة والعقول المستقيمة من أنه ليس رب سلالة ونسل ، ورب أسرة وبيت ورب بلد وإقليم بل هو إله الجميع ورب العالمين ورب المشارق والمغارب ، وما ثبت في التاريخ الانساني من أن الشعوب والأمم إنما تحيى بالرسالات التي تحتضنها والغايات التي تدعو إليها والفضائل التي تكافح في سبيلها وما تحمل من إفادة ونافعية وغناء للجميع وما نبه عليها القرآن الكريم بقوله : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً • وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ .

إن كل ذلك يحتم أن اليهود الذين يتحدون هذه الحقائق وهذه الطبائع وهذه السنن والقوانين والغايات الكريمة التي خلق الله لها هذا الكون وأوجد لها هذه الأجيال البشرية وما يحبونه من الخير والصلاح ومن العمران والبقاء لا يمتعون بفترة طويلة من السيادة والسيطرة والغلبة والقوة ولا يمكنون من تحقيق جميع آمالهم وأحلامهم ومشاريعهم ومخططاتهم الهادمة المدمرة الأنانية السلبية ولو أيدتهم ألف حكومة ، وكانت من ورائهم القوي الكبرى كلها في العالم ولو توفرت عندهم كل الوسائل الجهنمية التي اكتشفها المكتشفون في هذا العصر والتي برع فيها اليهود براعة ممتازة وسينتصر أهل الحق وحملة الرسالة العالمية الخالدة التي تعطف على الانسانية كلها وتساوى بين الشعوب والأمم وتنتصر للحق أينما كان وتحارب الظلم أينما وجد ، يعيشون للإنسانية ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

[يتبع]

أصول العلاقات الدولية
بين الإسلام والتشريعات الوضعية

[الحلقة الأولى]

أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة - جامعة قطر

تمهيد :

يختلف الإسلام عن سائر الأديان السماوية بأنه دعوة عالمية ، بعث بها محمد -ﷺ- لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

وقد وردت في الكتاب العزيز آيات كثيرة ، ونقل الرواة الثقاة أحاديث عدة ، وكل هذه الأحاديث وتلك الآيات بيان صريح عن عالمية الإسلام ، وأنه رسالة عامة خالدة ، جاءت لتخاطب في الإنسان فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ومن ثم كانت صالحة للتطبيق الدائم إلى يوم الدين .

وفضلاً عما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن عالمية الإسلام وأيضاً عما اشتملت عليه كتب السنة من أحاديث تبين أن محمداً -ﷺ- خاتم النبيين ، ورحمة الله للعالمين ، فإن هناك مسألتين تؤكدان عموم رسالة الإسلام ، وأنها آخر الرسالات الإلهية ، وهما :

أولاً : طبيعة المعجزة التي جاء بها محمد -ﷺ- .

ثانياً : تعاليم الإسلام .

أما المسألة الأولى فإن معجزة محمد -ﷺ- التي تحدى بها العرب هي القرآن الكريم ، وقد اقتضت مشيئة الله أن يكون لكل نبي معجزة تثبت أنه رسول صادق فيما يدعو إليه ، وليس دعيا أو متنبئا وكانت

معجزات الأنبياء الذين بعثوا قبل محمد -ﷺ- حسية مادية ، كما أنها معجزات شخصية بمعنى أن وجودها وبقاءها مرتبط بشخصية الرسول ، فإذا توفاه الله أصبحت هذه المعجزة خبرا يروى ، وأثرا ينقل كمعجزات عيسى وموسى وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه . ولكن معجزة القرآن ليست كذلك ، فهي عقلية غير حسية ، وهي أيضاً غير شخصية ، فهي باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والناس بعد محمد -ﷺ- يرون معجزته كمن شاهدوا محمداً وخاطبوه (١). فهي من ثم معجزة الدهر وصوت الحق إلى الخلق ، حتى يقوم الناس لرب العالمين .

وتؤكد تعاليم الإسلام عالمية هذا الدين ، فهذه التعاليم تخاطب الفطرة الإنسانية ، وتنظر إلى الإنسان نظرة واقعية ، وتحترم العقل البشري ، وتسوى بين الناس كافة في الحقوق والواجبات ، ولهذا لا تعرف الإقليمية أو العنصرية ، فهي إنسانية عامة ، تلبى حاجة كل المجتمعات على اختلاف الأزمان والبلدان .

إن بقاء معجزة الإسلام ، وحفظها من التحريف والتبديل ، واشتمالها على تلك التعاليم التي صلح عليها أمر الدنيا والآخرة ، لدليل واضح على أن دعوة الإسلام دعوة عالمية ، وأنها خاتمة الرسالات الإلهية ، ومهيمنة عليها ولا ينكر هذا ، أو يمارى فيه إلا كل من ألغى عقله ، أو سيطر التعصب عليه ، وبغى علوا في الأرض وفساداً .

وما دام الإسلام دعوة عالمية ورسالة الله الخاتمة إلى الناس جميعاً فإنه

---

(١) انظر : القرآن ، المعجزة الكبرى ، للشيخ محمد أبو زهرة : ص/١٥ ، ط. دار الفكر العربي ، القاهرة .

في أحكامه لا يعرف حدوداً مكانية أو زمانية ، ولكن لأن هذا الدين القويم لا يعرف الإكراه في الإيمان به اقتضت الظروف أن يكون الإسلام إقليمياً من حيث التطبيق ، وإن كان في الأساس عالمياً لا يخص قوماً دون قوم ، ولا عصراً دون عصر، فالعالم كله مخاطب به ، وهكذا يصبح الإسلام رسالة عالمية إذا نظرنا إليه من الوجهة العلمية ، وإقليمياً إذا نظرنا إليه من الوجهة العملية (١) .

على أن إقليمية الإسلام من الوجهة العملية لا تأثير لها عليه من الوجهة العلمية ، لأن لهذا الدين مبادءه العادلة التي تحكم علاقته بغير المؤمنين به سواء أكانوا مقيمين في دياره أم كانوا مقيمين في ديار خاصة بهم ، وهذه المبادئ التي أصبحت تعرف في العصر الحديث بالقانون الدولي ، تؤكد عالمية الإسلام ، وأنه أقوم منهاج لحياة الإنسان في كل مكان ، وأن الفكر البشري مهما يبدع من آراء و نظريات فإنه لن يبلغ مبلغ مبادئ الإسلام و تعاليمه ﴿ صبغة الله و من أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٣٨) .

وعن تلك المبادئ التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم تعرض هذه الدراسة في إيجاز مع الاهتمام بالأصول الكلية والقواعد العامة دون تشقيق القول في الفروع والجزئيات .

ويقوم منهج هذه الدراسة على ما يلي :

أولاً : أصول القانون الدولي في التشريعات الوضعية .

ثانياً : أصول القانون الدولي في الإسلام .

---

(١) انظر : التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالتشريع الوضعي للأستاذ عبد القادر عودة : ج/١، ص/٢٧٥ ، ط. دار التراث ، القاهرة .

ثالثاً : الموازنة بين الإسلام وتلك التشريعات حول هذه الأصول .

وأخيراً خاتمة تحتوي على أهم نتائج الدراسة وبعض ما ترشد إليه من توصيات .

أولاً : أصول القانون الدولي في التشريعات الوضعية :

يراد بالقانون الدولي التشريعات التي تنظم علاقة الدول بعضها ببعض ، كما تنظم علاقة الأفراد المختلفي الجنسية في دولة من الدول ، ومن هنا ينقسم هذا القانون قسمين : القانون الدولي العام ، والقانون الدولي الخاص ، ولكل منهما عدة تعريفات تختلف من حيث الصياغة ، بيد أنها لا تختلف غالباً من حيث المضمون .

ومن التعريفات التي وضعت للقانون الدولي العام أنه « مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الدول ، وتحدد حقوق كل منها و واجباتها في حالتي السلم والحرب » (١) .

وهذا التعريف وإن امتاز بعدم النص على مسائل هي محل جدل بين فقهاء القانون وشراحه ، ومنها وصف تلك القواعد بأنها ملزمة للدول ، وأنها عرفية أو اتفاقية ، وأن الدول التي تأخذ بها هي المتمدنة (٢) ، دون غيرها ، أغفل الإشارة إلى الهيئات الدولية التي تتولى الإشراف على تنفيذ مبادئه ، ولذلك عرفه بعض فقهائه بأنه القانون الذي يحتوي من ناحية على القواعد والمبادئ التي تحكم التزامات الدول في علاقاتها المتبادلة ، و هو يبين لنا من جهة أخرى القواعد الخاصة بالتنظيم الدولي ، أي بنظام وكيفية سير الهيئات التي أنشئت لمصلحة الجماعة

(١-٢) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام للأستاذ علي علي منصور : ص/٨٠ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

الدولية ، وحدد سلطاتها واختصاصاتها ، وذلك مثل هيئة الأمم ومكتب العمل الدولي (١) .

وأما القانون الدولي الخاص فمن التعريفات الجامعة لهذا القانون أنه « مجموع القواعد القانونية التي يطبقها القضاة بأمر صريح أو ضمني من المشرع لتحديد اختصاص محاكم الدولة إزاء محاكم الدول الأخرى بالحكم في القضايا المدنية ذات العنصر الأجنبي التي تقع بين الأفراد ، وإسنادها إلى القانون الذي يجب أن يحكم فيها بمقتضاه (٢) .

من تاريخ القانون الدولي في التشريعات الوضعية :

يجدر بنا قبل الحديث عن أصول القانون الدولي بقسميه الإشارة إلى طرف من تاريخ هذا القانون ، وكيف تطور عبر التاريخ حتى وصل إلى ما وصل إليه في العصر الحديث .

مما لا جدال فيه أن الدول تقوم بينها علاقات مختلفة منذ أقدم العصور وأن هذه العلاقات كانت تخضع لبعض القواعد والضوابط بصرف النظر عن مصدرها ، أو عدم الأخذ بها في أغلب الأحيان .

وقد سجل التاريخ في عهد الفراعنة معاهدة صلح بين رمسيس الثاني فرعون مصر ، وبين أمير الحيثيين في آسيا الصغرى بعد حرب طاحنة بين الدولتين ، ويمكن أن تكون شروط هذه المعاهدة أقدم ما عرف من القواعد الدولية التي أخذت بها الدول في بعض علاقاتها (٣) .

---

(١) مبادئ القانون الدولي العام للدكتور محمد حافظ غانم : ص/٢٢، ط. القاهرة .

(٢) انظر القانون الدولي الخاص للدكتور على الزيني : ص/٤٤ ، ط. الاعتماد ، القاهرة .

(٣) انظر نصوص المعاهدة في كتاب « مصر القديمة » للدكتور سليم حسن : ص/٢٨٧ ، ط. القاهرة .

ولم تعرف أوربا حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي قانوناً دولياً ينظم العلاقات بين الدول ، وذلك أن الحاجة إلى هذا القانون لم تظهر إلا بعد انهيار الإمبراطورية الجرمانية الرومانية ، وانتهائها بوفاة آخر أباطرتها فردريك الثالث سنة ١٤٩٣م ، فقد تفرقت أوربا بعد انتهاء هذه الامبراطورية التي ظلت زهاء خمسمائة عام إلى دول كثيرة مستقلة ، وقامت بين هذه الدول الناشئة علاقات وخلافات متباينة بسبب الحدود والحروب ، ومن ثم ظهرت الحاجة ملحة إلى قانون دولي ينظم هذه العلاقات .

واتجه العلماء نحو القانون الروماني يستوحونه ، ونشأت حركة علمية - شجعتها ملابسات عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني - غرضها بيان ما يجب على الدول وعلى رؤسائها اتباعه من قواعد في شأن قيام العلاقات بينهم ، وتزعم هذه الحركة الرعيل الأول من علماء القانون الدولي (١) ، ويذكر في مقدمة هؤلاء ميكافيلي الإيطالي ، وجروتيوس الهولندي ، لأثرهما الكبير في تطور القانون الدولي الوضعي .

أما ميكافيلي فقد ظهر له كتاب « الأمير » في سنة ١٥١٢م ، وجاءت فيه عبارته الشهيرة « لا محل للأخذ بقواعد الأخلاق في أمور الدول » ، وهذه العبارة اتخذت قاعدة لدى الأمراء والقواد فاتسمت العلاقات بين الدول بالقسوة والهمجية في حالة الحرب ، والخداع والوقعية في حالة السلم .

ومع أن ميكافيلي توفي سنة ١٥٢٧م فقد ظلت نظرياته وتعاليمه تحظى باهتمام من حكام أوربا ، استجابة لمآربهم الشخصية ، وقد نجم من ذلك وقوع حروب كثيرة أثارت الفزع والفوضى بين الناس ، بيد أنها مع هذا أثارت المفكرين والعلماء لمقاومة تلك التعاليم والنظريات ، ومحاولين إخراج العلاقات الدولية من الفوضى التي كانت تحيط بها .

---

(١) أصول القانون الدولي للدكتور حامد سلطان ، وعبد الله العريان : ص/٢٢ ، ط.القاهـــرة .

وتبلورت تلك النزعة المضادة لكتاب ميكافيلي في كتاب « في قانون الحرب والسلم » للعالم الهولندي جروتيوس ، وقد ظهر هذا الكتاب في سنة ١٦٢٥م وتضمن تنظيماً يكاد يكون كاملاً لما قد يقوم بين الدول من روابط وعلاقات وامتاز بادراسة المنطقية المنظمة ، وبالنظريات التي لاقت احتراماً وتقديراً من المفكرين في ذلك العصر ، وقد هاجم مؤلفه آراء ميكافيلي ونظرية الرئاسة العليا في الشئون الدينية التي كانت للبابا .

ولأهمية هذا الكتاب وأثره في العلاقات الدولية التزمته الدول دستوراً لعلاقاتها الخارجية مدى قرنين من الزمان ، واعتبر مؤلفه أب القانون الدولي ، وارتبط اسم جروتيوس بنشأة هذا العلم لدى فقهاء هذا القانون الغربيين .

وفي سنة ١٦٤٨م وقعت معاهدة وستنغاليا التي يؤرخ الأوربيون فيها بدء العصر الحديث للقانون الدولي ، لأنها وضعت آراء جروتيوس موضع التنفيذ الفعلي بين الدول ، و لكن ظروفاً شتى جدت بعد هذه المعاهدة ساعدت على نمو القانون الدولي ، وانفساح مجاله ، فذاعت مبادؤه وتأكدت ضرورة وجوده ، ورسخت في حكم علاقات الدول قواعده (١) ، ومن ذلك ظهور عدة دول جديدة بعد الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩م بسبب انتشار الحركات القومية ، واستقلال كثير من الشعوب الأوربية خلال القرن التاسع عشر، وقد ترتب على ذلك أن أصبحت العائلة الدولية تنتظم عدداً كثيراً من الدول المستقلة المتساوية ، لكل منها سيادتها وجيوشها وأساطيلها مما دعا إلى ازدياد الشعور بالحاجة إلى إيجاد قواعد خاصه بتنظيم علاقات الدول في وقت السلم والحرب .

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي : ص/٤٩ ، وانظر القانون الدولي العام للدكتور سامي جنينة : ص/٦٣ ، ط. الاعتماد ، القاهرة .

وأدت كثرة استقلال الدول والحاجة إلى قانون ينظم علاقاتها إلى عقد مؤتمرات دولية من أجل تنظيم قواعد قانونية وتدوينها في اتفاقيات دولية كما حدث في مؤتمر جنيف في سنة ١٨٦٤م الذي وضع قواعد الحرب البرية ، وفي مؤتمر لاهاي المنعقد في سنتي ١٨٨٩م ، ١٩٠٧م الذي توصل إلى وضع ست عشرة اتفاقية دولية في مختلف المسائل ، ومنها حقوق الأسرى ، هذا بالإضافة إلى بعض المعاهدات التي نظمت حقوق المحايدين و واجباتهم مثل معاهدة باريس المنعقدة في سنة ١٨٥٦م (١) .

ولما كانت النهضة الصناعية في أوربا قد أتاحت للدول ألوانا جديدة من الأسلحة الحربية ، وهيأت لبعضها فرصة احتلال الشعوب الضعيفة واستغلالها ، ولما كانت الدول القوية قد حدث بينها صراع حول مناطق النفوذ والاحتكار ، بحيث يمكن القول بأن الحروب العديدة التي عرفها العصر الحديث العالمية منها والمحلية تكمن أسبابها الجوهرية كلها وراء نزعات الاستعمار وبسط النفوذ ، ونهب خيرات الشعوب وثرواتها وبخاصة المتخلفة منها في آسيا وأفريقيا ، لما كان كل ذلك ، لجأت الدول القوية إلى عقد اتفاقات ومعاهدات دولية جديدة تتلاءم مع ظروف العصر، وأهمها معاهدة فرساي المنعقدة في سنة ١٩١٩م عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وقد تمخضت هذه المعاهدة عن إنشاء أول تجمع دولي أطلق عليه عصبة الأمم .

وحاولت الجمعية العامة لهذه العصبة تدوين القانون الدولي فشكلت لجنة لهذه الغاية ، و قدمت اللجنة تقريرها إلى العصبة في سنة ١٩٢٧م ، وتضمن التقرير موضوعات مختلفة ذكرت اللجنة أنها صالحة للتدوين

---

(١) القانون الدولي العام للدكتور سامي جنينة : ص/٦٨ .

وهي : الجنسية ، المياه الإقليمية ، مسئولية الدولة عن الأضرار التي تلحق بأشخاص الأجانب وأموالهم في إقليمها ، والامتيازات والحصانة الدبلوماسية ، وإجراءات المؤتمرات الدولية ، و إجراء عقد المعاهدات و صياغتها ، و استغلال منتجات البحار (١) .

وقرر مجلس العصبة وجوب الدعوة إلى مؤتمر يعقد في لاهاي تكون مهمته تدوين الموضوعات الثلاثة الأولى الواردة في تقرير اللجنة ، وعقد هذا المؤتمر في سنة ١٩٣٠م ولكنه لم يصل إلى اتفاق بشأن المياه الإقليمية ومسئولية الدولة عن الأجانب في إقليمها .

وبعد الحرب العالمية الثانية عقدت اتفاقية سان فرنسيسكو في سنة ١٩٤٥م وبمقتضاها أنشئت هيئة الأمم المتحدة التي حلت محل عصبة الأمم ، وقد نصت المادة : ١٢ في الفقرة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة على ما يأتي : تنشئ الجمعية العامة دراسات وتشير بتوصيات بقصد انماء التعاون الدولي في الميدان السياسي ، وتشجيع التقدم المطرد للقانون الدولي وتدوينه ، ولذلك عهدت الجمعية العامة إلى لجنة القانون الدولي ببحث موضوعات شتى تتعلق بالشئون الدولية .

ويبدو أن اشتباك مصالح الدول وتعارضها في عصر الذرة والصواريخ العابرة للقارات ، وما يسمى بحرب النجوم جعل الأحداث الدولية تتوالى بسرعة ، وتتناقض تناقضا بينا متلاحقاً ، بالإضافة إلي ، وجود قوتين عالميتين تتنازعان السيطرة على العالم فكراً واقتصاداً ونفوذاً ، وهذا كله جعل من العسير إن لم يكن من المستحيل وضع قانون دولي عام ملزم لجميع الدول قبل أن يكون هناك قوة دولية كوسيلة لإلزام من يخرق

(١) أصول القانون الدولي : ص/٢٥ .

القانون باحترامه ، وتنفيذ كل ما يصدر عن الهيئات الدولية من قرارات وأحكام (١).

أصول القانون الدولي العام :

بعد هذه اللمحة التاريخية عن نشأة القانون الدولي في الفكر الإنساني وتطوره ، ما هي أصوله التي انتهى إليها فقهاؤه ، و التـي يرون أنها تحمى الحقوق ، وتمنع الاعتداء وتصون السلام ؟

وقبل الإجابة عن هذا أود الإشارة إلى أن هؤلآء الفقهاء يختلفون من حيث الأسس التي تقوم عليها أصول هذا القانون ، ولذلك جدت نظريات متباينة ، فكل فقيه نظر إلى الموضوع من زاوية خاصة ، فهناك نظرية قواعد الأخلاق ، ونظرية المجاملات الدولية ، ونظرية الرضا العام الفردي ، والرضا العام الجماعي ، ونظرية القانون الطبيعي ، و مذهب القانون الوضعي الناشئ عن شروط المعاهدات المكتوبة ، و نظرية القومية والجنسية التي تمخضت عن حق تقرير المصير ، و نظرية الديانة المسيحية (٢) .

ومع تباين آراء الفقهاء في هذا يكاد ينعقد الإجماع (٣) بينهم على أن العرف والمعاهدات هما المصدران المهمان للقانون الدولي العام ، وذلك لأن القاعدة القانونية تنشأ وليدة الحاجة ، فإن ثبت وجودها عن طريق تكرر استعمالها أصبح العرف مصدرها ، وإن ثبت وجودها عن طريق تدوينها في اتفاق أو معاهدة فإنه يكون مصدرها في هذه الحالة .

(١) المصدر السابق .

(٢) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي : ص/٧٤ .

(٣) انظر أصول القوانين لأحمد كامل مرسي وسيد مصطفى : ص/٩٢ . المطبعة الرحمانية . القاهرة .

وقد دعت لجنة القانون الدولي التابعة لهيئة الأمم المتحدة في ٢١نوفمبر سنة ١٩٤٧م إلى إعداد مشروع إعلان حقوق الدول و واجباتها، ليصبح القانون الذي تأخذ به الدول في علاقاتها في أوقات السلم والحرب.

وقدمت هذه اللجنة مشروعها إلى الجمعية العامة سنة ١٩٤٨م فقررت صلاحيته، وأحالته إلى الدول الأعضاء، لتبدي كل منها رأيها فيه، وضربت لذلك موعداً غايته شهر يوليو سنة ١٩٥٠م، ولكن الدول جميعها أمسكت عن الرد عليه.

ولأن هذا المشروع يمثل أحدث ما وصل إليه الفكر القانوني الدولي في تنظيم العلاقات بين الدول، وتحديد حقوقها و واجباتها رأيت الاكتفاء به في بيان الأصول الوضعية للقانون الدولي العام.

لقد بين المشروع حقوق الدول في أربع مواد، على حين خصص عشر مواد للحديث عن واجبات الدول، وكأنه بهذا يؤكد أن السلام الدولي يفرض واجبات كثيرة، وأن على الدول أن تبذل وتضحى من أجل أمن المجتمع الدولي واستقراره.

والمواد التي تضمنت حقوق الدول هي:

مادة ١: لكل دولة الحق في الاستقلال وفي ممارسة اختصاصاتها، ومنها اختيار شكل حوماتها بمنتهي الحرية.

مادة ٢: لكل دولة الحق في ممارسة قضائها على كل ما على إقليمها من أشخاص و أشياء.

مادة ٥: لكل دولة حق المساواة القانونية مع الدول الأخرى.

مادة ١٢: لكل دولة حق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي ضد كل اعتداء مسلح (١).

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي: ص/١٧٢.

فهذه المواد تقرر لكل دولة حق الاستقلال، وحق ولاية القضاء في إقليمها، وحق المساواة مع الدول الأخرى، وحق الدفاع الشرعي، حماية لاستقلالها وسيادتها، ودفعا لكل اعتداء يقع عليها، وهذه الحقوق الأربعة هي المجمع عليها بين علماء القانون الدولي سواء أكانوا طبيعيين أو وضعيين (١).

وأما المواد التي حددت واجبات الدول فهي:

مادة ٣: مراعاة الدولة لأحكام القانون الدولي في علاقاتها مع الدول الأخرى.

مادة ٤: فض الخلافات الدولية بالوسائل السلمية، وطبقاً لأحكام القانون الدولي.

مادة ٦: الامتناع عن التدخل في الشئون الداخلية أو الخارجية للدول الأخرى.

مادة ٧: الامتناع عن مساعدة أية دولة تلجأ إلى الحرب، أو استخدام آخر غير مشروع للقوة، و كذلك أية دولة تتخذ الأمم المتحدة ضدها إجراءات القسر أو الإكراه.

مادة ٨: الامتناع عن الاعتراف بأية زيادات إقليمية قد تحصل عليها إحدى الدول، نتيجة للحرب، أو أي استخدام غير مشروع للقوة.

مادة ٩: الامتناع عن تشجيع الثورات الأهلية في أقاليم الدول الأخرى.

مادة ١٠: ضمان أن تكون الأحوال في إقليمها على نحو لا يهدد السلام والنظام الدوليين.

مادة ١١: منع الأشخاص الخاضعين لولايتها على أساس احترام حقوق

---

(١) أصول القانون الدولي: ص/٥٧٦.

الإنسان و الحريات الرئيسية لهم جميعاً دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ، وبدون تفريق بين الرجال والنساء .

مادة ١٢: تنفيذ الدولة بحسن نيـــة لالتزاماتهـا الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي .

مادة ١٤: عدم الالتجاء للحرب أو أي استخدام غير مشروع للقوة (١) .

ويلاحظ أن هذه المواد تركز على أمرين هما :

أولاً : رفض اتخاذ الحرب وسيلة للسيطرة أو التوسع ، والدعوة إلى حل المشكلات الدولية بالطرق السلمية .

ثانياً : احترام سيادة كل دولة ، واحترام الإنسان دون نظر إلى جنسيته أو عقيدته .

ولا مراء في أن تنفيذ هذه المبادئ بإخلاص وإيمان صادق بها يجنب البشرية كثيراً من المشكلات والأخطار ، ويقضي على كل ألوان الاستغلال والامتهان لكرامة الإنسان ، فلماذا مسكت الدول عن الإعراب عن رأيها فيه ، وكأن هذا رفض منها له ، وبخاصة أنها كانت حديثة العهد بحرب طاحنة كلفت البشرية الملايين من الأنفس والأموال .

إن موقف الدول من هذا المشروع يدل على أن الرغبة الصادقة في السلام الدولي العادل لا تتوافر لدى بعض الدول ، ولا سيما الدول الكبرى ، لأنها لو شاءت قبوله لقادت الدول الصغرى إلى الموافقة عليه .

على أن ذلك المشروع في نصه على عدم استخدام القوة في المنازعات الدولية إنما يحاول وضع ميثاق الأمم المتحدة موضع التنفيذ ، فقد جاء الميثاق بمبادئ جديدة كل الجدة في العلاقات الدولية ، كمبدأ عدم

(١) المصدر السابق : ص/٥٧٥ .

استخدام القوة ، ومبدأ الأمن الجماعي (١) .

وقد نصت الفقرة الرابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، على ما يلي :

يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي ، أو الاستقلال السياسي لأي دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة .

كذلك نصت الفقرة الأولى من المادة الأولى من هذا الميثاق على ما يلي :

والغرض الأول من مقاصد الأمم المتحدة هو : حفظ السلام والأمن الدوليين ، وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم ولإزالتها ، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم ، وتتذرع بالوسائل السلمية ، وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم أو لتسويتها (٢) .

وهذا يعني أن الحرب التي كانت مشروعة في القانون قبل الحرب العالمية الثانية قد أصبحت محظورة بعد هذه الحرب من الناحية القانونية ، ولكن البشرية ما زالت تصطلى بنار الحروب العدوانية في مختلف بقاع العالم ، وما زال منطق القوة هو السائد في فض المنازعات بين الدول ، وما زالت الدول الضعيفة أو الصغيرة تتعرض للارهاب والضغط ، وما زال الخوف من نشوب حرب عالمية ثالثة لا تدع حيواناً ولا نباتاً إلا أتت عليه يسيطر على الجميع ، ومرد هذا كله إلى الحضارة

(١) القانون الدولي العام للدكتور حسن الجلبي : ص/١٦٥ ، ط. بغداد .

(٢) انظر النسخة العربية من ميثاق الأمم المتحدة .

المادية المعاصرة التي جعلت الحياة صراعاً بين الدول من أجل الاستغلال والنفوذ ، وإلى أن القوانين الوضعية مبتوتة الصلة بضمائر الساسة والقادة ولا تلقى منهم احتراماً أو تقديراً ، ولا ينزلون على أحكامها إلا إذا اقتضت مصلحتهم ذلك .

القانون الدولي الخاص :

وأما القانون الدولي الخاص فهو كما أسلفت في تعريفه يتناول القضايا ذات العنصر الأجنبي ، وهي التي يتصل أحد عناصرها بأي شكل من الأشكال ببلد أجنبي كأن يتخاصم مصريان مثلا على مال موجود في إيطاليا ، أو مصري وأجنبي أو أجنبيان من جنسية واحدة ، أو من جنسيتين مختلفتين أمام محكمة مصرية (١) .

وهناك خلاف بين العلماء حول نوعية القضايا التي تخضع للقانون الدولي الخاص ، فيرى البعض أنه خاص بالمسائل المدنية دون الجنائية ، لأن هذه من اختصاص القانون الدولي العام ، ويرى غيرهم أن هذه المسائل تدخل في نطاق القانون الدولي الخاص (٢) .

وهناك خلاف أيضاً حول النظرة إلى هذا القانون واعتباره علماً مستقلاً بذاته ، فيذهب بعض الفقهاء إلى أن القانون الدولي الخاص علم مستقل بذاته ، على حين يذهب آخرون إلى غير ذلك ، فالانجليز مثلا لا يرون أنه يوجد قانون دولي خاص واحد مشترك لكل الدول ، ولهذا فهو لديهم معتبر من القوانين الداخلية .

---

(١) انظر مقدمة القانون للأستاذ أحمد صفوت : ص/٩٥ ، ط. القاهرة .

(٢) انظر القانون الدولي الخاص : ص/٧٢ .

وهذا القانون حديث العهد ، وإن كانت له جذور قديمة ترجع في رأي بعض فقهائه إلى العصر الروماني وإلى العصور الوسطى (١) .

وقد ازدادت أهمية القانون الدولي الخاص في العصر الحديث ، بسبب سهولة المواصلات ، واتساع نطاق التجارة بين الأمم ، وكذلك السياحة ، وهجرة العقول والأيدي العاملة .

وكل قواعد أو أصول هذا القانون تدور في نطاق شخصية القوانين ومحليتها ، بمعنى أن القانون في سريانه هل يطبق بالنسبة للأشخاص الخاضعين له دون سواهم كأن يطبق القانون المصري مثلا على المصريين وليس على الأجانب الذين يقيمون في مصر ، أو أن تطبيق القانون مرتبط أولا بالمكان الذي ينتمي إليه القانون دون نظر إلى الأشخاص الذين يقيمون فيه ، فالقانون المصري يطبق على جميع الموجودين في مصر سواء كانوا مصريين أو غير مصريين .

وهناك سوى نظرية شخصية القوانين ومحليتها مسائل يهتم بها هذا القانون مثل الجنسية وطرق الحصول عليها ، والموطن وأنواعه ، إلى غير ذلك مما لا مجال هنا لتفصيل القول فيه (٢) .

ولكن قواعد هذا القانون وموضوعاته ما زالت حتى الآن موضع خلاف بين الفقهاء على العكس من قواعد القانون الدولي العام .

[يتبع]

---

(١) انظر القانون الدولي الخاص : ص/٧٢ .

(٢) انظر المصدر السابق .

القلم أمانة في أيدينا !

بقلم : فضيلة الأستاذ المرحوم السيد محمد الحسني
رئيس تحرير المجلة سابقاً

أمانة القلم من الأمانات التي خانها أهلها في هذا الزمان ، وفقدت حرمتها ومعنويتها وكرامتها .

إن الله تعالى أكرم القلم ، ورفع مناره ، وأعلى شأنه ، وأقسم به بقوله : ﴿ ن • والقلم وما يسطرون • ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ (سورة القلم) .

وكانت أول سورة نزل بها الروح الأمين على نبينا محمد -ﷺ- : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (سورة العلق) .

ترى ماذا صنعوا بهذا القلم وكيف أنزلوه في مراحيض الفساد ، ومواخير الرذيلة .

كيف أساؤا استعماله في صرف الأمة عن الأمجاد ، وقطع صلتها عن التاريخ ، وجرها كما يجر قطعان الماشية والغنم إلى أوكار الفساد ، وخلايا التخريب ، وحلقات الإبادة والتدمير ، حتى صارت الأمة لا تعرف من واقع حياتها غير اللسانين الطويلين السليطين ، لسان الكلام ولسان الأقلام !

وصار القلم حراً يستطيع أن ينهش كل لحم ، ويهتك كل ستر ، ويذيع كل شر ، ويشيع كل فاحشة ، ويتطاول على كل قداسة وحرمة ، بشرط أن لا يمس رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء مساً ، وأن لا ينال من الحزب الحاكم نيلا !

تلك هي أمانة القلم في البلاد التي تدعى الحرية والتقدمية والاشتراكية ، وتتغنى بكرامة الإنسان بل تريد أن تعبد الإنسان من دون الله .

وسول لهم الشيطان في بعض هذه البلاد أن يجعلوا وزارات الأوقاف و

وزارات الثقافة والتوجيه والإرشاد تابعة لهذه الأقلام الموبوءة أو المسعورة أو المأجورة على أقل تقدير ، ويتلفوا أكبر مقدار ممكن من الورق الصقيل والحبر النفيس والقلم الرشيق في هذيان محموم ، أو هراء مجنون ، ثم تنشر هذه السخافات التي لا يتفوه بها عاقل أو كريم في حجرته الخالية ، على صفحات المجلات الرسمية الصادرة من الوزارات الاشتراكية من غير حياء من الله أو حياء من الناس .

إن أمانة القلم تقتضى أن يكون لكتابتنا مفهوم ، شراً كان أم خيراً ، أما أن لا يكون لها مفهوم ومغزى ودلالة إطلاقاً ، أما أن تتجرد هذه الكتابات أو هذه الأقلام من أن تدل القارئ حتى على نوع من أنواع الشر ، ولون من ألوان الفساد ، وفن من فنون الجنون - دع عنك ألوان الخير وأنواع البر - فذلك نوع لا يعرفه الآدميون ، وسوف لا يعرفونه ما دامت لهم عقول وما دامت على أكتافهم رؤوس .

ولا تأويل عندي لهذا الفن الحديث الذي اخترعته هذه البلاد العربية الاشتراكية ، وفوضت أمر تنسيقه وإخراجه والدعاية به إلى وزارات الثقافة والإرشاد إلا أنه فن تولد في السكر والعربدة ، ونشأ وقام في السكر والعربدة ، إذن فلا ملام ولا عتاب ، فالشرائع والأحكام أو الأعراف والتقاليد لا تجرى على السكارى وإنما لا ينفع عندهم إلا التأديب والعقاب !

هذه « الأقلام » يجب أن تحطم وتهشم ، وهذه الأوراق يجب أن تمزق وتحرق ، وهذه المكاتب الفخمة يجب أن تصادر وتغلق ، ولو كانت في بغداد والقاهرة وبيروت ، لنقيم دليلاً على أن الشباب فيهم بقية من حياء وبقية من شرف وبقية من عقل ، وأنهم لم يدخلوا بعد في حديقة الحيوانات ، ولم يفقدوا شعورهم وعقولهم البتة ، كما يريد هؤلآء الاشتراكيون والشيوعيون والماركسيون .

كانت التجريدية تتصل أولاً بالرسم والصورة والتمثيل ، وهي إما كانت شهوة وإما كانت هراء ، ثم دخلت في الأدب والبيان ، والفكر

والفلسفة ، والقيم والأقدار ، والأعراف والمفاهيم ، فحولتها شهوة كما أرادها بيكاسو ، أو جعلتها هراء لا يفهمه الكاتب والفنان فضلاً عن القارئ .

لا ندعوكم إلى أمانة الإسلام ، وأمانة الدين ، وأمانة الدعوة ، وأمانة العلم فأنتم لها منكرون أو كارهون .

إنما ندعوكم إلى أمانة القلم ، إلى كرامة القلم ، إلى شرف القلم الذي أنتم به مؤمنون أو به منافقون .

ندعوكم إلى أن تحفظوا هذه العلب الكبيرة من المداد والأحجام الضخمة من الورق وآلات الطباعة والاخراج ، من الضياع ، ولا تنفقوا على هذا اللون « الفريد » من الآداب البروليتارية التي لاخلاق لها في الدنيا والآخرة ، من أموال المسلمين الذين لا يؤمنون بكم ، ولا يرضون بكم حكاماً و ولاة ، ولكنه الارهاب والجاسوسية ، وسوط الجلاد وآلات التعذيب !

ونعود إلى موضوع الحرية في هذه الأقلام الاشتراكية .

لقد تتغنى هذه الأقلام بالحرية والاشتراكية والوحدة وتلهج لها بالثناء والدعاء في مكان وفي غير مكان ، كأنها كلمة نزلت من السماء ، أو وحي نزل به الروح الأمين - ومعاذ الله - على قلب هؤلآء الغوغائيين ، أما الأمر الواقع أما الحياة التي تتجاوز حدود الفم أو ريشة القلم ، فلا ترى هناك إلا سجناً كبيراً سموه دولة اشتراكية ، إنك ترى هناك مؤسسات ، وكليات ، ومعاهد ، ومساجد ، ولكنه رغم كل ذلك سجن كبير ، لا تستطيع فيه أن تدلى برأيك الحقيقي ، أو تعرف شيئاً اسمه الضمير ، ومع هذا الحذر والتدبير تراهم يخافون كل نقير وقطمير ، وكل شبح وظل ، و « يحسبون كل صيحة عليهم » وقد كتب المنفلوطي في إحدى كتاباته يصف بعض المتفرنجين المائعين في زمانه فكان مما قال : « إذا سمع صفير الصافر مات وجلا وإذا رأى غير شئ ظنه رجلا » .

وتلك هي نفسية الاشتراكيين تتشابه نفسية اللصوص الذين ينتابهم

الخوف وهم مقبلون على الجريمة ، فاللص مهما قوي ساعده ، واشتد بأسه ، وكثر حذره ، وكثرت تجاريه ، فإنه « لص » ، لص بنفسيته المنهزمة ، بلبه الشارد ، بضميره الآئم ، بقلبه الوجل ، ولو أقدم على القتل ، أما هذا الشباب الفج ، الغر المبهور الذي قفز على مقاعد الحكم في بلاد الإسلام والمسلمين ، فعهده بهذه اللصوصية الأدبية قريب ، فكيف لا يحذر ولا يخاف ، وكيف لا يلوذ بأذيال الاضطهاد والارهاب ، أو يتذرع بتضليل العقول وتخدير الأعصاب .

الحرية البروليتارية معناها تحرير الرؤس من العقول والأفهام وتحرير الأفئدة من العواطف والمشاعر ، وتحرير الكلام من المعاني والحقائق ، وفي كلمة وجيزة ، سلخ الإنسان من إنسانية ، واعتباره نوعاً من الجماد أو نوعاً من الحيوان ، وما حدث في سوريا أخيراً بوفد رابطة العالم الإسلامي (١) يصدق ما قلنا ، وذلك جزء صغير من مخطط مدروس كبير ، يجرى على قدم وساق في البلاد الاشتراكية كلها ، كما أنه يدل على نفسية اللص المذعور الذي فقد ثقته بنفسه وصدرت منه حركات ألصقت به التهمة وسلطت عليه الأضواء وهو هارب بعد أن سرق المتاع .

ولو أردنا أن نصور واقع الاشتراكية العربية هذه الأيام لما كان غير هذه الصورة إلا أن هذا اللص قد تقدم خطوة ، فأصبح يكتب ويخطب ويجول ويصول ، وصار كما قال الله تعالى في كتابه المجيد ، يصف قوماً يشبههم ، والناس أنماط وألوان : ﴿ وتقطعون السبيل • وتأتون في ناديكم المنكر • فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من

---

(١) زار وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي دمشق ، وبعد مدة يوم ونصف من وصوله إلى دمشق ، وصل ثلاثة من رجال الأمن السوري « فندق أمية » بعد منتصف ليلة السبت ، وأمروا أعضاء الوفد بمغادرة الفندق حالاً ، وساقوهم فعلا إلى الحدود اللبنانية السورية عند الساعة الرابعة صباحاً دون أن يسمحوا لأعضاء الوفد بمراجعة السفير السعودي في دمشق أو أي مسئول آخر .

قريتكم إنهم أناس يتطهرون » (سورة العنكبوت) .

إن هذه الحرية الكاذبة التي يطمع فيها بعض الطامعين والمسحورين في البلاد العربية عاهة يشترونها وانتحار يقدمون عليه ، راضين طائعين ، وهم لا يعلمون مصيرهم الكئيب في هذا « اليانصيب » .

إنها مائدة القمار ، فتحت أبوابها وروجت بضاعتها بكل حيلة و وسيلة وتلفيق وتزوير ، و دعت كل غر ساذج أن يلقى فيها سهمه ، ويجرب فيها حظه ، ثم لا يفيق من هذا السكر المعنوي والسكر الحسي إلا بعد أن يفقد كل ما عنده من مال أو متاع ، أو بقية من رجولة أو حياء ، ويعود عارياً عن كل معنى ، متجرداً عن كل زينة ، عاطلاً عن كل تبعة ، فارغاً عن كل مسئولية ، فيعيش عالة على المعسكرين الشرقي أو الغربي كالعبيد والاماء ، ويتبع كل سبيل غير سبيل الله ، ويؤمن بكل دين غير دين الإسلام ، ويبيع شرفه ، وعرضه ، وتاريخه ، وبلاده ، وأمجاده ، « بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » .

المحافظة على شرف القلم - وهو أحد اللسانين كما يقول المثل العربي القديم - واجب لا يحتمه الدين فحسب بل إنه واجب الإنسانية الأول ، واجب كل مجتمع ذاق طعم الحرية ، وخرج من دور الطفولة والعبودية ، كل مجتمع تعلم أبناؤه القراءة والكتابة ، و واجب كل إنسان عرف معنى الإنسانية وتحمل مسئوليتها وآمن بالأقدار الخلقية العامة وحرمتها ، إنه واجب الدول العربية الشقيقة قبل الدول الأخرى والشعوب الأخرى ، فمنها تعالى نداء القرآن أول مرة مدوياً في الآفاق يسمو بالقلم ومكانته وشرفه وأمانته .

﴿ إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

فلتحافظ تلك الشعوب على هذه الأمانة الأخيرة الغالية ، أمانة الأقلام ، رحمة بأبنائها وغيرة على بناتها ، إذا لم تطب لنفوسها « الأبية » أن تحافظ على أمانة الإسلام التي لولاها لما كانت مصر والشام بل وما كان عالم الإسلام !

.....

الدعوة الإسلامية :

« الجهل بالدين »

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

لدين الإسلام أساسيات وعموميات ، فالأساسيات هي التي لا يعذر أي فرد في تعلمها ، لأن بها استقامة حياته ، و انتظام عباداته اليومية ، وسلامة عقيدته في علاقته بخالقه جل وعلا ..

والعموميات هي ما يهتم به الراسخون في العلم ، ولا يدركه إلا طبقة معينة من الرجال ، الذين زادهم الله سعة واطلاعاً ، و وفقهم في الفقه في خفايا أحكام دينهم .

والفرد المسلم غير معذور بالجهل ، إذ عليه أن يسأل ويتابع ، وعليه أن يدرك حقائق دينه ، ليعبد الله على بصيرة ، ويسأل العلماء عن كل ما يشكل عليه ، حتى يكون على بينة من أمره ، امتثالاً لأمر الله جل وعلا بقوله الكريم : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٤٢) ، وبالسؤال تتضح الحقيقة ، وتزول الشبهة وتبرأ الذمة ..

وقد حث الإسلام بتعاليمه على الأمر بالسؤال ، والاستقصاء عن أمور الدين ، وحضور مجالس الذكر ، فكتاب الله وسنة رسوله الكريم - ﷺ - ، هما مصدرا المعرفة اليقينية بأمور الدين من عبادات ومعاملات ، وحلال وحرام .. وهما من ألزم ما يجب أن يحرص عليه الفرد : فهماً ومتابعة ، لأن أساسيات الدين بأصوله وفروعه ، واضحة فيهما ، وعبارات التوجيه من أوامر ونواه ، وترغيب وترهيب فيهما لاغبار عليها ، ولا غموض في مدخل الاستدلال .. وهذا من نعمة الله على من يجيد اللغة العربية ، حتى ولو كان لسانه عامياً ، وإذا كان الفقهاء - رحمهم الله - قالوا : إن المسلم

لا يعذر بجهله ، ولا تسقط عنه الشرائع بذلك لأنه لم يبذل جهداً في التحرى عن أمور دينه ، استبراء للذمة ، فإن العالم أيضاً عليه مسئولية التبليغ والتنبيه ، وإعطاء الناس مما علمه الله ، لأن حمل العلم أمانة ، وتبليغه للناس واجب ، وقد حذر رسول الله -ﷺ- من كتم العلم حيث قال في الحديث الصحيح : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

وهذا مما يحتم على العلماء البساطة ولين الجانب ، وبذل النفس والوقت ، مع الناس حتى يعلموا عنهم ذلك ، فيأتوا إليهم سؤالاً وإفادة ، ويرغبوا فيما لديهم من علم بالتزود والمتابعة ، وكان رسول الله -ﷺ- يجلس في مسجده لتعليم الصحابة أمور دينهم ، والإجابة على أسئلتهم ، ومن حرصهم - رضي الله عنهم - على التفقه في الدين : ملازمتهم لحلقات رسول الله -ﷺ- واهتمامهم بالأخذ والسؤال ، وبعد عودتهم لمنازلهم ، وخاصة من كانوا يقيمون في عوالي المدينة ، كانت نساؤهم يسألنهم عما أنزل من كتاب ، وعما عرفوا من أحكام دينهم ، في ذلك اليوم الذي لازموا رسول الله فيه .

مسترشدين في ذلك بقوله -ﷺ- : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

فالتواضع والحرص ، مطلوب من العالم والمتعلم .. ذلك أن العالم عند ما يكون بشوشاً ولين ، تتمثل فيه أخلاق العلماء ، ويلجأ إليه الناس في حل قضاياهم ، والاسترشاد عما يجهلون في أمور دينهم ، والمتعلم عند ما يكون حسن الخلق ، ولبقاً في عرضه لما يشكل عليه ، يعين العالم في التبسط معه ، وتعليمه لما يحتاج إليه ، وإفادة من كان حاضراً ، ولم يتجرأ على السؤال ، أو لم يمر عليه مثل هذه المسألة ، لكنه يحتاجها في موقف آخر ، أو ليصحح مفهوماً أخذه من مصدر ناقص ، ذلك أن العلم كما

يقول أبو خازم : لا يناله مستبكر ولا مستحي .

وقد تمثل الشافعي - رحمه الله - ببيتين يصوران ، حالة الذي يعبد الله على جهل ولا يسأل ليعرف ما يجب عليه ، وحالة العالم الذي لا يؤدي حق العلم نحو الناس تبليغاً ، ونحو نفسه عملاً ، هما قوله :

و عالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عابد الوثن
كذاك من بغير علم بعمل أعماله مردودة لا تقبل

وسبب دخولي في هذا الموضوع ، الذي تحدث فيه العلماء -رحمهم الله- قديماً وحديثاً ، وأفاضوا فيه ، محبة في المشاركة القاصرة ، بعد أن وصلتني رسالة أحزنتني ، من أخ مسلم يتكلم العربية ، يطرح فيها سؤالاً هو من أبسط البديهيات عند كل مسلم ، لأن القرآن الكريم بالنص حرمه ، ولأن العرف والذوق يأباه ، ولأن الثقافة البدائية في البيت المسلم أولاً ، وفي غيره من ذوى النحل تنفر منه .. إذ لم نسمع عمن يبيح نكاح ذوات المحارم ، إلا الملاحدة والمارقين من الأديان ، ومع ذلك فأغلب هؤلآء ينفرون من زواج الأمهات مع جرأتهم بإباحة ذوات المحارم .

يسأل صاحب الرسالة : عن حكم من تزوج أمه وأنجبت منه ولداً ، فهل يكون هذا الولد أخاً له أو ابناً له ؟ ولكي يبرئ السائل نفسه من هذا السؤال وآثاره ، فإنه يقول : إن هذا السؤال قد طرحه عليه شخص يعتنق المذهب الشيوعي ، ويجادله في مثل هذا الأمر .

وفي الوقت الذي نستغفر الله لنا وللسائل عن التجرئ على محارم الله ، فإنني أرجو أن يكون هذا السؤال من باب الافتراضات ، لا الحقائق الواقعة ، ذلك أن المعهود في كتب الفقه طرح افتراضات كثيرة أمام العلماء ، لمعرفة الإجابة فيما لو حصل لها مثيل ، ولإدراك المداخل إذا طرحت أسئلة مقاربة ، أو وقعت لبعض الناس أمور تقترب من ذلك .

ذلك أن المحرمات في النكاح ضربان : الأول من تحرم إلى الأبد ، والثاني

من تحرم إلى أمد ، فالأم والجدة من قبل الأم أو الأب وإن علت محرم نكاحها إلى الأبد ، وهي من الضرب الأول ، الذي جاء تحريمه بنص صريح في كتاب الله جل وعلا ، يقرؤه كل مسلم يتلو كتاب الله كما قال تعالى في سورة النساء : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ، وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٢٢) ، قال الوزير وغيره : أجمعوا على أن المحرم في كتاب الله أربع عشرة امرأة : سبع بالنسب ، وسبع بالسبب ، توضحهن هذه الآية ، والآية التي قبلها .

و لما كان الرضاع محرماً للنكاح بنص الآية أيضاً ، حيث يعلل الأصوليون أن الرضاع غذاء ، نمى منه الجسم ، وهم محدود جداً ، من خلاصة جسم المرأة المرضعة ، فاكتسب بذلك صفة الأمومة فكان سبباً في تحريم النكاح ، والأم الحقيقية أشد التصاقاً بالابن ، حيث تغذى في بطنها من جسمها وحنت عليه بقلبها ، وأرضعته من ثديها حولين كاملين ، فكان سبب التحريم أقوى ، وعظم الحقوق أكبر .

إن الفكر الشيوعي ، الذي يحكى عنه هذا السائل : عند ما يبيح مثل هذا الأمر ، ويراه شيئاً لا ضير فيه ، فإنما يدل على انحطاط ذلك الفكر ، وتجرئه على القيم والأخلاق ، فضلاً عن بنائه لقاعدته على مبدأ الإلحاد ، ومحادة الله ورسوله ، ذلك أن الإنسان إذا مات إحساسه أصبح أقل مرتبة من الحيوان الأعجم .. والذين يدرسون طباع الحيوانات والطيور يدركون منها الغيرة الشديدة على محارمها ، والأنفه من أن يشاركها فيها أحد ، فضلاً عن عزوف الذكور منها عن الاتصال بأمهاتها ، وقد أشار الجاحظ في كتابه الحيوان ، إلى نوعيات من الحيوانات تأنف من ذلك العمل السئ .. ولقد جمعتني مجلس نقاش ومحاورة ، قبل عشر سنوات في القاهرة مع مجموعة من المهندسين الزراعيين والبيطريين ، وتداولنا طباع الحيوانات وأعمالها ، وأن الإنسان الذي ميزه الله بالعقل ، إذا فقد

الوازع الديني ، انحدر عقله إلى المرتبة الحيوانية أو أقل ، وأن قلبه يتمرد على التعاليم والقيم ، ويقسو بحيث يصبح كالحجارة ، أو أشد قسوة ، لأن تمرد الإنسان عن معصية وعلم ، فهو محاسب عليه لأنه مكلف .. بينما الحيوان ينتظم في عمله و يمتثل في وقت هو غير مكلف بذلك ، ولكنها الفطرة السليمة ، التي هدى إليها الإنسان بالتعاليم الشرعية ، فكان عليه لزاماً أن يدرك ويحافظ ..

فقال أحدهم سأحكى لكم تجربة تتبعت فصولها في حظيرة الأبقار التي أشرف عليها، وخلاصتها أن عجلاً ولد ونمى جسمه ، وهو مع أمه في الحظيرة ، وأحسست أنه بلغ مبلغ الثيران ، وأنه يطلب ما يطلبه غيره ، فأردت امتحانه ، هل ينزو على أمه أم لا ؟! لأنني سمعت أقوالاً متضاربة إيجاباً وسلباً ، وقصدي الوصول للحقيقة عن تجربة أقطع بها الشك ، ففصلت العجل في حظيرة مستقلة لمدة أيام ، من أيام الإخصاب عند هذه الفصيلة ، وفي الموعد المحدد ربطت عينيه حتى لا يرى ، وأدخلت عليه أمه ، فنزا عليها ، ثم فككت رباط عينيه ، فلما رأى أن أمه هي الوحيدة التي معه في الحظيرة ، هاج وماج ، وكنت أتوقع ضرراً منه ، لو كنت معه في الحظيرة ، أو غيري من بني آدم ، و قد أتى بحركات غريبة لم أعهدها فيه ، كمن يعبر عن غضب اجتاح نفسه ، وفي أثناء دورانه وشدته في الحظيرة ، رأيته يقفز سياجها ، ويعدو مسرعاً إلى النهر القريب منه ، ثم يرمى بنفسه بانفعال شديد ، فوقفت أرقب الموقف ، حتى غرق وغاص في قاع النهر .

رويت هذه الحادثة ، كدليل على أنفة الحيوانات من أعمال يقوم بها البشر ، وفي كتاب قرأته قبل سنوات اسمه : « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » تأليف محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى في سنة ٣٠٩هـ ، أورد المؤلف نماذج من وفاء الكلاب وغدر بعض البشر .

من ردود الجاحظ :

أورد الجاحظ في الحيوان رداً على المحتجين لإنكار استراق السمع الوارد بالقرآن ، من المفيد ذكر بعضه قال : قال قوم : قد علمنا أن الشياطين الطف لطافة ، وأقل آفة ، وأحد أذهاناً ، وأقل فضولاً ، وأخف أبداناً ، وأكثر معرفة ، وأدق فطنة منا ، والدليل على ذلك اجماعهم على أنه ليس في الأرض بدعة بديعة ، دقيقة ولا جليلة ، ولا في الأرض معصية عن طريق الهوى والشهوة ، خفية كانت أو ظاهرة ، إلا والشيطان هو الداعي لها ، والمزين لها ، فهو الذي يفتح باب كل بلاء ، وينصب كل حبله وخدعه ، وأنتم تقولون أن الشياطين الذين على هذه الصفة كلما صعد منهم شيطان ليسترق السمع قذف بشهاب نار ، وليس له خواطئ ، فإما أن يكون يصيبه ، وإما أن يكون نذيراً صادقاً أو وعيداً ، إن يقدم عليه رمي به ، وهذه الرجوم لا تكون إلا لهذه الأمور .. فأجاب الجاحظ بقوله : ونحن نقول : لو كان إبليس يذكر في كل حال قوله تعالى : ﴿ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ وعلم في كل حال أنه لا يسلم ، لوجب أن المحنة كانت تسقط عنه لأن من علم يقيناً أنه لا يمضى غداً إلى السوق ، ولا يقبض دراهم من فلان ، لم يطمع فيه ، ومن لم يطمع في الشئ ، انقطعت عنه أسباب الدواعي إليه ، ومن كان كذلك فمحال أن يأتي السوق .

فنقول في إبليس إنه ينسى ، ليكون مختبراً ممتحناً ، فليعلموا أن قولنا في مسترقي السمع كقولنا في إبليس ، وفي جميع هذه الأمور التي وجبت علينا الدين ، أن نقول فيها بهذا القول :

أما من يخاطر بذهاب نفسه لخبر يستفيده : فقد علمنا أن أصحاب الرياسات ، وإن كان متبيناً كيف كان اعتراضهم ، على أن أيسر ما يحتملون في جنب تلك الرياسات القتل ، ولعل بعض الشياطين أن يكون معه من الكبر ، وحب الرئاسة ما يهون عليه أن يبلغ دوي الموضع ، التي إن

دنا منها أصابه الرجم ، والرجم إنما ضمن أنه مانع من الوصول ، ويعلم أنه إذا كان شهاباً أنه يحرقه ، ولم يضمن أنه يتلف عنه ، فما أكثر من تخترقه الرماح في الحرب ، ثم يعاود ذلك المكان ، ورزقه ثمانون ديناراً ، ولا يأخذ إلا نصفه ، ولا يأخذه إلا قمحاً ، فلو لا أن مع قدم هذا الجندي ضروباً مما يهزه وينجده ، ويدعو إليه ، ويغريه ، ما كان يعود إلى موضع قد قطعت فيه إحدى يديه ، أو فقئت إحدى عينيه ، ولم وقع عليه إذاً اسم شيطان ومارد وعفريت ، وأشباه ذلك ؟! ولم صار الإنسان يسمى بهذه الأسماء ، ويوصف بهذه الصفات ، إذا كان فيه الجزء الواحد من كل ماهم عليه ؟!

وقالو في باب آخر من الطعن غير هذا : قالوا في قوله تعالى : ﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ فقالوا : قد دل هذا الكلام على أن الأخبار هناك كانت مضيعة حتى حصنت بعد ، فقد وصفتم الله تعالى بالتضييع والاستدراك وحاشا الله عن هذا الوصف ، وليس في هذا الكلام دليل على أنهم سمعوا سراً قط ، أو هجموا على خبر ، إن أشاعوه فسد به شئ من الدين ، وللملائكة في السماء تسبيح وتهليل وتكبير وتلاوة ، فكان لا يبلغ الموضع الذي يسمع ذلك منه ، إلا عفاريتهم .

وقد يستقيم أن يكون العفريت يكذب ، ويقول : سمعت ما لم يسمع ، ومتى لم يكن على قوله برهان يدل على صدقه ، فإنما هو في كذبه من جنس كل متنبئ وكاهن ، فإن صدقه مصدق بلا حجة ، فليس ذلك بحجة على الله ، وعلى رسوله -ﷺ- . [٦/٢٧٠-٢٧٢]

.....

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الإنسان

[الحلقة الأولى]

بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

عبر القرآن الكريم في كثير من آياته عن العقيدة بالإيمان ، وعن الشريعة بالعمل الصالح ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾ (سورة الكهف ، الآية : ٣٠) ، وقوله جل شأنه : ﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٩٧) ، وقوله سبحانه : ﴿ والعصر • إن الإنسان لفي خسر • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (سورة العصر) .

ومن هذه الآيات الكريمة نلاحظ أن العقيدة هي الأصل والأساس الذي تبنى عليه الشريعة ، وعلى ذلك فإن الشريعة تعتبر أثراً تستتبعه العقيدة حيث لا تقوم الشريعة بدون العقيدة ، فهما أمران متلازمان مترابطان بحيث لا يصح إهمال أحدهما والإبقاء على الآخر ، فالعقيدة أصل يدفع إلى الشريعة والشريعة تلبية واستجابة لانفعال القلب بالشريعة .

والأصول التي تقوم عليها العقيدة ستة على النحو الآتي :

الأصل الأول : الإيمان بالله تعالى .

الأصل الثاني : الإيمان بالملائكة .

الأصل الثالث : الإيمان بالكتب السماوية .

الأصل الرابع : الإيمان برسل الله .

الأصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر .

الأصل السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره .

الأصل الأول : الإيمان بالله تعالى :

الأصل لغة ما يبنى عليه غيره ، سواء أكان الابتناء حسياً كالأساس الذي يشيد عليه البناء فهو أصل له ، أم كان الابتناء عقلياً كابتناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية .

وكلمة أصل تستخدم في هذا العلم بمعناها اللغوي - الذي ذكرناه - أي ما يبني عليه غيره ، ذلك لأن ما عدا هذه الأصول من أمور الدين يبنى عليها ، ويتفرع عنها .

والإيمان لغة : مشتق من الفعل آمن بمعنى صدق على زنة أفعل لأفاعل والإلجاء مصدره فعالاً ، وهمزته للتعدية ، كأن المصدق جعل الغير آمناً من تكذيبه ، أو للصيرورة كأنه صار ذا أمن أن يكذبه غيره .

الإيمان شرعاً : التصديق بالقلب بالأمور المعلومة من الدين بالضرورة

وقيل : تصديق بالجنان وإقرار باللسان .

ومن تلك المتعلقات التي يجب الإيمان بها الإيمان بالله تعالى ، بمعنى أن يؤمن الإنسان بأن الله تعالى موجود ، وأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، لا شريك له في الألوهية ، وأنه لا مثيل له ولا شبيه ، وأنه منفرد بكل صفات الكمال .. منزه عن كل صفات النقص ..

ويتحقق الإيمان بالله تعالى وما جاء من عنده عن طريق الشرع من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بطريق العقل من النظر والفكر السليمين .

الدليل النقلي : ورد في القرآن الكريم كثير من النصوص التي تتحدث عن الله تعالى وعن وجوده ، وعن وحدانيته وعن صفاته ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحيّ ذلكم الله فأنى تؤفكون • فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم • وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقومٍ يعلمون • وهو الذي أنشأكم من نفسٍ واحدة فمستقرّ ومستودعٌ قد فصلنا الآيات لقومٍ يفقهون • وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شئ • فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه • انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه • إن في ذلكم لآيات لقومٍ يؤمنون ﴾ (سورة الأنعام ، الآيات : ٩٥-٩٩) .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده ثم أنتم تمترون • وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ (سورة الأنعام ، الآيات : ١-٣) ، وقوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥) ، وقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (سورة الاخلاص) .

وقوله جل شأنه : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ أي إن في ذلك لدلائل واضحة على وجود الصانع و وحدته وكمال علمه وقدرته .

الدليل العقلي : إن أكبر دليل على وجود الله تعالى هو مخلوقاته ، وأوثق ما علمنا من حقائق الطبيعة يدعونا إلى الإيمان بأنه لا ريب أن لهذه الدنيا إلهاً واحداً ، إن وجود الكون ، وهذا النظام العجيب الذي

اشتمل عليه ، وأسراره الدقيقة لا يمكن تفسير ذلك كله إلا بأنه من • صنعة خالق لا حدود له ، فالعالم حادث وكل حادث لابد له من محدث ، ومحدث هذا الكون الله جل جلاله .

ذلك لأننا إذا آمنا بوجود هذا الكون فلابد أن نؤمن بإله هذا الكون ، إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه ونحن لا نعلم شيئاً جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق ، فكيف بنا نؤمن بأن كوناً عظيماً مثل كوننا جاء إلى الوجود ذاتياً دون خالق .

ومن أجل الأدلة على وجود الله تعالى وأوضحها ما ذكره ابن رشد باسم العناية والاختراع .

دليل العناية : وهذا يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله ، فجميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان ، ثم إن هذه الموافقة ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد ، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق .

والموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان ، وكذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه أيضاً والحيوان والنبات والجماد والأمطار والأنهار والبحار والنار وما اعلى ذلك وكذلك أيضاً تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان أي كونها موافقة لحياته ووجوده .

ومن آيات الله في هذا المجال :

﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ (سورة الفرقان ، الآية ٦١) .

﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً • والجبال أوتاداً • وخلقناكم أزواجاً • وجعلنا نومكم سباتاً • وجعلنا الليل لباساً • وجعلنا النهار معاشاً •

وبنينا فوقكم سبعاً شداداً • وجعلنا سراجاً وهاجاً • وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً • لنخرج به حباً ونباتاً ﴾ (سورة النبأ ، الآيات : ٦-١٥).

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً • ثم شققنا الأرض شقاً • فأنبتنا فيها حباً،وعنباً وقضباً،وزيتوناً ونخلاً،وحدائق غلباً • وفاكهة وأباً،متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (سورة عبس ، الآيات : ٢٤-٣٢).

دليل الاختراع : وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات كاختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل .

ويدخل فيه وجود الحيوان كله و وجود النبات و وجود السماوات وذلك أن هذه الموجودات مخترعة فإنا نرى أجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً أن هناك موجداً لهذه الحياة وهو الله تعالى وأما السماوات فنعلم من قبل حركتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا ومسخرة لنا ، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة .

قال تعالى : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾ (سورة الحج ، الآية : ٧٣) .

إن كل مخترع له مخترع ، فعلى من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ، ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لأن من لم يعرف حقيقة الشئ لم يعرف حقيقة الاختراع .

قال تعالى : ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شئ ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٨٥) ، ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق • خلق من ماءٍ دافقٍ • يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (سورة الطارق ، الآيات : ٥-٦-٧) .

إن التفسير الحقيقي لهذا النظام هو أن نؤمن بقدرة خارقة وقوة

جبارة وعظمة إلهية بسطت يديها فسيرت الكون على هذا النحو العجيب ، فالنظام والقصد والانسجام والحكمة الظاهرة في الطبيعة ومظاهرها المختلفة المتنوعة طريق ظاهرة لإثبات وجود الله تعالى .

أثر الإيمان بالله في حياة الإنسان :

من آمن أن الله تعالى هو الذي خلق هذا الكون العظيم في نظام وحكمة وسخر هذا الكون للإنسان بما فيه من سماوات وأرضين ورياح وأمطار وحيوان ونبات وبحار وأنهار وغير ذلك من موجودات هذا الكون ، وإنه ليس من أحد غير الله يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك ، أحب الله تعالى حتى ملك عليه عقله وقلبه ، ويظل في منأي عن المعاصي والذنوب ، وعلى قدر ما تعظم المحبة تزيد الطاعة ولقد كان رسول الله -ﷺ- أعظم الخلق عبادة لله تعالى لأنه كان أعظم الخلق حباً لله تعالى ، وعلى قدر ما يعظم الخوف من الله تعالى والتهيب من عصيانه تكون الطاعة كذلك ، وقد كان رسول الله -ﷺ- أكثر الخلق خوفاً من الله تعالى مع أنه صفوة الخلق وحبيب الرحمن .

هذا الحب لله تعالى يجعل الإنسان يحب ما يحبه الله ويدعو إليه ، ويبغض ما يبغض له الله - ولو كان الأهل والمال - وينفر منه .

والإيمان بالله تعالى ينشئ في الإنسان العزة والتواضع ، فالله تعالى هو القوى و لاضار ولا نافع ولا محي إلا هو سبحانه وتعالى فلا يخضع لإنسان مهما عظم سلطانه ، كما لا يتضرع إليه ولا يخشى من كبريائه ، وكذلك تراه لا يفخر بماله وعزته وإنما يقول هذا هبة الله .

وكذلك نرى أن المؤمن يرى أن النجاة والفلاح لا تكون إلا بتزكية النفس والعمل الصالح ، ونجده كذلك على درجة كبيرة وقوة عظيمة من العزم والاقدام والصبر والثبات والتوكل مع الشجاعة والجرأة لأن الذي

يؤهن عزمه حبه للنفس والمال والأهل واعتقاده بأن هناك غير الله من يستطيع تحقيق ضروراته ، و أنه قادر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة ما .

فالإيمان بالله تعالى يرفع قدر الإنسان وينشئ فيه الترفع والقناعة والاستغناء ويطهر قلبه من الطمع ومن كل صفات ذميمة .

ومن خاف الله حق الخوف وأحبه حق المحبة عظم قدره سبحانه عنده ، فالخوف من لوازم الإيمان وموجباته .

إنما يقدر الإنسان ربه حق قدره بالعلم والمعرفة وذلك حاصل من تلاوة كتابه الكريم وفهمه له وتدبر آياته ومعرفة أحكامه وأغراضه ، وكذا النظر في حديث رسول الله -ﷺ- وفهمه لمعانيه ومراميه ، ثم إعمال النظر العلمي والبحث الفكري في مخلوقات الله تعالى ، ومعرفة ما أودع الله تعالى فيها من الأسرار على قدر ما تيسر له الإحاطة به .

وفي الإيمان بالله تعالى ثبات واستقرار للنفس عل طاعة الله وعبادته وحده .

فالاستقامة تقتضي الصبر على طاعة الله تعالى والدوام عليها دون انقطاع بدافع من كسل أو غرض ، وتعنى الصبر عن معاصي الله تعالى دون انقطاع بدافع من هوى أو غرض ، والصبر على قضاء الله تعالى والرضا به على الدوام دون انقطاع بدافع من خوف أو جزع ، فالاستقامة هي التي تدفع المؤمن ليجعل همه في الحياة واحداً هو رضوان الله تعالى ، ثم الأمر عنده سيان رضي الناس عنه أم سخطوا فيكفيه الله تعالى هم الدنيا والآخرة ويجعل قلوب الصالحين تتجه إلى حبه .

ثم إن الإيمان بالله يجعل الإنسان متقيداً بقانون الله تعالى ، ومحافظاً عليه ، فهو إن خلا بنفسه ليلاً أو نهاراً يعلم أن عليه رقيباً

يحاسبه عن كل صغيرة وكبيرة اقترفها ، فتراه يسارع إلى التوبة كما قال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروه لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٣٥) ، ويسارع كذلك إلى فعل الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فوازعه النفسي يحضه على الخير ، وينهاه عن كل نقيصة ورذيلة .

الأصل الثاني : الإيمان بالملائكة :

الملائكة جمع ملك نظراً إلى أصله الذي هو ملاك ، وتقديم الملائكة على الكتب مراعاة للترتيب الواقع لأنه تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسل ، ولا يعني هذا التقديم تفضيل الملائكة على الرسل ، وإلا للزم تفضيلهم على الكتب ولا قائل به .

والإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم والاعتقاد القاطع بوجود الملائكة وأنهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يدل على صفاتهم وأعمالهم عليهم السلام وهي كثيرة منها :

إنهم يعبدون الله تعالى ويذكرونه .

إنهم يصلون ويقفون صفاً في صلاتهم .

إنهم يخافون الله تعالى و يطيعون أوامره ، و لا يقدمون على قول أو فعل حتى يكون الله تعالى هو الذي يأذن لهم بذلك .

إنهم يدعون للمؤمنين بأن يغفر الله تعالى ذنوبهم ويقيهم الخطايا والسيئات ويدخلهم الجنة مع أهليهم .

إنهم يشفعون للمؤمنين في الآخرة شفاعة مقبولة باذن الله تعالى .

إنهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

ومن الملائكة من وكل إليه قضايا الإنسان التكوينية من تطوير النطفة في الأرحام ثم تصويرها ثم نفخ الروح في الجنين وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته .

ومنهم الكرام الكاتبون والمؤكلون بحضور مجالس العبادات والطاعات على اختلاف أنواعها .

ومنهم المؤكلون برفع الأعمال الصالحة إلى الله وبسؤال الإنسان في القبر يتعاقبون عليها في صلاتي الفجر والعصر ليشهدوا لمن يحضر هاتين الصلاتين خاصة .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « قال رسول الله -ﷺ- ، تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة النهار وصلاة العصر فيجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكة النهار فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون فاغفر لهم يوم الدين » (١) .

ومنهم من تحف بأجنحتها طالب العلم وتظلله لرضاها بعلمه الذي يرفع به الجهل عن نفسه ، ويتفقه في أحكام دينه ابتغاء مرضاة الله وفضله .

ومنهم من يرافق العبد المؤمن في مختلف مسالك حياته وطرق عيشه ورؤساء الملائكة الكرام أربعة هم :

جبريل - عليه السلام - . ميكائيل - عليه السلام - .

إسرافيل - عليه السلام - . عزرائيل - عليه السلام - .

---

(١) متفق عليه .

هذا والملائكة أرواح قائمة في أجسام نورانية ، وهي قادرة على التمثل بأمثال كريمة مختلفة باذن الله تعالى ، و لا يأكلون و لا يشربون و لا يتناسلون و لايوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، حياتهم عبادة الله تعالى وطاعته وتسبيحه وتنفيذ أوامر الله تعالى وطاعته .

و وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي من الكتاب و السنة ، قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥) . ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٣٦) .

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٨) ، إلى غير ذلك من النصوص الكريمة .

وليس الإيمان بالملائكة مستحيلاً عند العقل البشري ، بل هو من الممكنات التي يجوز العقل وجودها .

فالإنسان مثلاً يسلم بوجود بلاد لم يرها حين يخبر بها عن صادق أنه رآها ، كذا يسلم بمسموعات لم يسمعها حين يخبره صادق أنه سمعها .

فإذا كان هذا الإنسان المحدود الإدارك يسلم فيما يخرج عن حدوده لمن تجاوز ذلك منه ، فكيف لا يسلم بوجود الملائكة وقد ورد الخبر الصادق بذلك من الله تعالى ورسوله -ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى .

وكم من المرئيات لا نراها لأن أبصارنا تعجز عن رؤيتها ، مثل الهواء والجاذبية والرياح ومع ذلك نؤمن بها .

ومن هنا كان إنكار الملائكة كفراً بإجماع المسلمين ، بل بنص قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل

ضلالاً بعيداً ﴾ .

على أن الإيمان بنبوة محمد - عليه السلام - ونزول القرآن عليه يستلزم الإيمان بالملائكة ، فإنكار وجودهم إنكار للنبوة وللقرآن معاً .

أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان :

لقد سخر الله تعالى الملائكة الكرام لصالح أمر الإنسان ، وهذا تفضلا منه سبحانه وتعالى ولطفاً بالعباد ، فقد جعل منهم ملائكة ينزلون بالوحي والهدى من الله تعالى لصالح أمر المؤمن كي يحيي على هدى من الله تعالى ونور مبين .

وأمرهم بمرافقة المؤمن يعدونه بالخير إذا أطاع الله تعالى ، وبحضور المؤمن عند احتضاره يبشرونه بإقباله على الله جل جلاله يقبل الحسنة ويضاعفها ويتجاوز عن السيئة ويمحوها ، وما يزال معه حتى يرى مقعده من الجنة ، قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة • ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • نزلاً من غفورٍ رحيم ﴾ (سورة فصلت،الآيات : ٣٠-٣٢) .

إذا كان الإنسان يعلم ذلك جيداً فلا شك وأنه يجد في قلبه دوافع تدفعه إلى الاستقامة على طاعة الله تعالى والمبادرة إلى طلب مرضاته على كل حال .

كما أنه يجد خجلاً في نفسه من حضور الملائكة معه في كل مكان وزمان وعلمهم بأعماله وكتابة ذلك في صحيفة يقرؤها يوم القيامة فيمنعه ذلك من معصية الله .

فالإنسان المؤمن يقوى إيمانه بالله تعالى لما يبدو له من عظمة الله

وقدرته وينشط إلى العبادة والطاعة ويكثر من فعل الخيرات ، ويحب الملائكة الكرام ويعرف فضلهم ويعتقد أنهم عباد الله المكرمون .

الأصل الثالث الإيمان بالكتب المنزلة :

مما لا يخفي أن العقل البشري له حدوده وإدراكاته التي ينتهي إليها ، ومجالاته التي يصول فيها ويجول ، وأن سمعه وبصره وقدرته وعمره كذلك محدود ، فليس عجباً أن لا يبصر الإنسان فوق طاقته ، ولا أن لا يدرك العقل ما وراء حدوده .

ولهذا العجز وذاك القصور فقد أنزل الله تعالى كتباً وصحفاً على المصطفين من رسله تضم بين دفتيها مجموعة من أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه ، ومواعظه وإرشاداته إلى عباده ، يتدبرونها ويتفهمون معانيها بعقولهم وقلوبهم ، فيهتدون بهديها ، وإذا تغلبت عليهم شهواتهم كانت زاجرة لهم عن الاقدام على المعاصي .

وقد أنزل سبحانه وتعالى صحفاً - كتباً - قليلة الصفحات إلى بعض رسله كما أرسل كتباً كثيرة الصفحات إلى بعض رسله - عليهم السلام - إذ ما من شك في أن كل رسول بعث لأمة كان لديه تعاليم سماوية تهدف إلى تصحيح عقيدة التوحيد أولاً ، وتنظيم علائق الناس ومعالجة الأمراض الخلقية والاجتماعية التي كانت متفشية في تلك المجتمعات .

وتعددت الصحف بتعدد الرسل وكذلك الكتب ، قال الله تعالى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ (سورة الأعلى ، الآية : ١٩) ، ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٩١) ، ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٨٧) ، ﴿ وآتينا داؤد زبوراً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٦٣) ، ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ﴾ (سورة المائدة الآية : ٤٨)

وكما أشرنا فقد كانت تلك الصحف والكتب لأجيال معينة وفي أماكن معينة . أما القرآن الكريم فأنزل لكل الأجيال من كل الأمم والبلدان إلى يوم القيامة . وقد تولى سبحانه وتعالى حفظه بنفسه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

وقد أثبت الله تعالى في القرآن الكريم أصول ما في الكتب والصحف السابقة من تقرير توحيد الله تعالى ، وطاعة الرسول فيما يأمرهم به ، والقيام بعبادة الله تعالى ، والحث على مكارم الأخلاق ، وبين الحلال والحرام في البيوعات كما نقل أموراً أخرى أخفاها أهل الكتب أو بدلوها ، يدفع ذلك كل شبهة ويدحض كل حجة ، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ (سورة المائدة . الآية : ٤٨) .

وقال سبحانه : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير • قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور، بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ١٥) .

فمن أركان الإيمان أن نؤمن بصحف إبراهيم وموسى والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن لورود ذكرها في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

كما يلزمنا الاعتقاد بأن ما أكده القرآن الكريم مما في تلك الصحف والكتب وأكدته السنة النبوية كذلك هو الحق الذي أنزله الله تعالى ولا نزيد فيها شيئاً ، وما ورد فيها مما يخالف ما في القرآن والسنة فذلك باطل . لأن الله تعالى ألزمنا العمل بكتابه الكريم لأنه متضمن جميع

التعاليم الإلهية ومحتو لتلك الكتب .

أثر الإيمان بالكتب المنزلة في حياة الإنسان : اختار الله تعالى الإنسان ليكون خليفة في أرضه في الدعوة للإيمان به ولإعمار هذه الأرض وإقامة العدل فيها ، وإحقاق الحق بين قاطنيها . ففي القرآن الكريم الذي أنزل على قلب محمد الأمين -ﷺ- تقرير نظام الحياة الجسدية والروحية الفردية والاجتماعية ، في النفس والأسرة والمجتمع وعلاقات المسلمين بعضهم ببعض وبغير المسلمين ، بما لا يدع مجالاً للشك في أن ذلك حقاً اختيار الحكيم العليم وإنه صالح لحياة الإنسان في مختلف مراحلها الدنيوية والأخروية .

إن الإنسان وهو يعتقد ذلك إنما يستشعر فضل الله تعالى عليه إذ أنزل عليه وصايا وأحكاماً وإرشادات وأوامر وفرائض وتكاليف لتوجه عقله وتهدي فكره وترشد فطرته وتسلك بعواطفه سبيل الخير والرشاد ، فيزداد بذلك حباً لله ويقبل عليه بالطاعات والقربات . وبالجملة فإن الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يقوى إيماننا بالله تعالى وحبنا له سبحانه . فنؤثر طاعته على طاعة سواه . ونقدم أمره على كل أمر ونصحه على كل نصح . ولا نبتغي بكتاب الله تعالى بديلاً فهو وحده الحق ﴿ وماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ وهو وحده كل شئ وما عداه فليس بشئ .

ومن ثمرات الإيمان بالكتب كذلك أن نقبل على القرآن الكريم بلهف وشوق وحنين لتلاوته وفهمه وتدبر آياته . ونزداد به عملا وتطبيقاً في حياتنا الدنيا ليكون السلطان في الأرض لكتاب الله ويكون الدين كله لله تعالى .

[يتبع]

تيارات الغزو الفكري

[الحلقة السادسة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

ومما لا يخفي على باحث أو دارس ، أن الغزو الفكري لكي يحقق أهدافه من إبعاد الأمة الإسلامية عن أصالتها ، وآدابها ، اتخذ له منافذ متعددة ، وتيارات مختلفة ، قد تبدو متباينة ، ولكنها تلتقي جميعها في محاربة الإسلام والمسلمين ، ومن هذه التيارات والحركات :

(الاستشراق) (التبشير) (الصهيونية) (الماسونية) (أندية الروتاري) (العلمانية) (القوميات) (التغريب) (الوجودية(١) (الفوضوية) (القاديانية) (البابية والبهائية) ... وغير ذلك ..

إن هذه التيارات والحركات ، صنعها « الغزو الفكري » ليمر من خلالها إلى الشعوب الإسلامية وقد استطاعت هذه التيارات أن تثبت أقدامها ، وتوطد علائقها ، وتقيم معاهدها ، ومدارسها ..

وهناك مجتمعات إسلامية - جميع أبنائها مسلمون - بدت فيها ظاهرة لا يتنبه لها إلا أولئك الباحثون - أمثالي - وما أخطر هذه الظاهرة ، ظاهرة انتشار صورة الصليب في أشكال قد لا تلفت النظر لأول وهلة .

فقد يكون الصليب داخل مربع يضئ ليلاً أعلى قمة محل تجاري ..

وقد يكون الصليب داخل إطار دائري ، تتزين به حجر الاستقبال ..

قلت لصديقي الذي تتزين حجرة جلوسه بثلاث من هذه الدوائر : ما هذا؟

قال : لا أدري - والله - إنها أدوات زينة .

---

(١) انظر : وراجع كتابنا ، التيارات الفكرية والحركات المعاصرة ، ط. دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤١٢هـ .

وقد يكون الصليب داخل إطار كتابي «شعاراً» لأحد الشركات الكبرى .

وفي بعض المجتمعات الإسلامية ، لا يستطيع أحد أن يشير إلى أي ظاهرة من ظواهر الغزو الفكري في المجتمع ، بأي إشارة كانت .

وهكذا تعيش بعض المجتمعات الإسلامية في ظواهر الغزو الفكري ، ولا أحد يرى ، ولا أحد يتكلم ، ولا أحد يسمع .

لقد نجحت الحملات التي قامت بها مؤسسات الغزو الفكري الغربي في تحقيق أغراضها نجاحاً بعيداً ، حين ضمت إليها فئات مثقفة من المسلمين ، وجعلتها في صفها تحارب الإسلام وثقافته ، وأكثر من هذا أن هؤلاء المثقفين صاروا يستنكرون الثقافة الإسلامية إذا تناقضت مع الثقافة الغربية ، وصاروا يستمرئون الثقافة الغربية ويتعشقونها ، ويتجهون في الحياة طبق مفاهيمها (١) .

لقد أقبل الكثير من المسلمين على ثقافة الغرب يدرسونها ويطبقونها ويتسابقون في الأخذ بها ، واستجاب المسلمون إلى الدعوات العنصرية حتى صارت على لسان الكثيرين ، وحتى صارت الأقليمية الضيقة هي المرتكز لأي عمل في أي اتجاه سياسياً كان أم اقتصادياً أم فكرياً ، إن هناك حرباً تشن على العقائد الموروثة ، وعلى المسلمات التي تتصل بالوحي والبعث ، وهناك فلسفات مطروحة ، ترمى إلى إلغاء القيم الثوابت ، وإقامة التطور المطلق ، وتجاوز الروح وإقامة المادة وحدها ، وإلغاء الضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية ودعوة إلى رفع الوصاية عن الشباب ، بل هناك دعوة صريحة أعلنت خطتها بإخراج العرب والمسلمين من إطارات الدين ، ودعوتهم إلى علمنة الذات العربية ، وهناك دعوات إلى إعادة طرح الأساطير ، والإباحيات في أفق الفكر الإسلامي عن طريق القصة ، والمسرح ، والصحافة ، وهناك دعوات تزين الباطل وتزخرفه

---

(١) انظر: عزالدين الخطيب التميمي وآخرين، نظرات في الثقافة الإسلامية: ص/٤٦.

ودعوات تحول الشر إلى صور براقة زاهية (١) .

أهداف الغزو الفكري :

لا يمكن أن يتصور عاقل : أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها . ولا يمكن أن يتصور عاقل أن اعداء الإسلام قد سكتوا عن الإسلام بعد أن تحالفوا ضد أهل الإسلام فغلبوهم وجعلوا منهم أمماً بعد أن كانوا أمة . وفرقاً بعد أن كانوا وحدة . ولا زال أعداء الإسلام . يدبرون لحربه كل يوم وسيلة . ويحشدون للوقوف في وجهه كل يوم قوة وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل من خطر الجندي والسلاح في المعركة الضارية التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله .

إن هؤلآء الأعداء قد سكتوا عن حرب الجنود والأسلحة . ليشنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام : منهجه وتاريخه ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه . وتحالفوا وتآزروا وابتكروا حديث الوسائل . وخبث التيارات والأساليب . فغزوا المسلمين في قلوبهم . وأفكارهم . وأخلاقهم . وأزيائهم . وشنوا على العالم الإسلامي من الغارات ما لا يخفى أمره (٢) .

وإن أخص صفات عصرنا . هي أنه ينتج من الأفكار . بقدر ما ينتج من الأشياء . وليس من الضروري أن نتطلب من الأفكار المنتجة . أن تكون نافعة دائماً كالأشياء فإن المجتمعات التي تصدر إلينا أشياء الحضارة . ترى في الأفكار سلعة . ينبغي أن تتغير كل يوم . كما تتغير طرز الأشياء . ولذلك يقف مثقفونا مبهورين . أمام موجات الفكر الوارد من الخارج . ماذا يأخذون وماذا يدعون . بل قل : ماذا يقرءون . وماذا يترجمون ؟ ولا شئ أكثر من هذا .. يكفيهم أن يستطيعوا ملاحقة

(١) أنور الجندي شبهات التغريب في غزو الفكري الإسلامي : ص/٤٧-٤٨، ط. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ .

(٢) انظر الدكتور على عبد الحليم محمود . الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : ص/٥-٦ .

الأفكار . دون أن يكون عليهم أن يواجهوها أن ينقدوها فهم إلى أن يصوغوا نقداً معيناً لأحد الاتجاهات الجديدة نسبياً . يكون الوقت قد فات . وتقادم بمرور الزمن ما ينقدون . وغطت عليه أفكار أخرى أشد لمعاناً . وأكثر جاذبية وإشعاعاً .

ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامي هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار . نظراً إلى موقعه وخطورة موقفه . ليبقى هذا العالم مفتقراً إلى الدول المصدرة وليحال بينه وبين أفكاره الأصيلة التي يمكن أن تغنيه عن الاستيراد .

وسوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات . وأكثرها تقبلاً للتزييف والإفساد . ومن ثم حفلت أسواقنا . بما هو أشد فتكاً من السموم . وأعظم انتشاراً من الهواء . يتخلل كل خلية وينخر في كل بناء . أفكار ترتدي أثواباً . أو تحمل شعارات . أو ترفع مشاعل . ليس الثوب فيها . أو الشعار . أو المشعل . إلا قناعاً يستر الزيف الخطر (١) .

إن هذا الغزو الفكري الذي يجتاح الشعوب الإسلامية يهدف فيما يهدف إلى :

١- أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوي المعادية لها .. تلك القوى التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة . التي يحمي بعضها بعضاً . ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح . التي تهم أي طرف من أطرافها .

٢- أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصاً . والعالم النامي عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة . تبعية غير منظورة . وفي هذه التبعية يمكن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها . فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال . بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية .

(١) انظر : الدكتور عبد الصبور شاهين . مقدمة كتاب الإسلام يتحدى . وحيد الدين خان : ص/٨-٩ . ط. المختار الإسلامي ١٢٩٧هـ الطبعة السابقة . القاهرة .

وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية.

٢- أن تتبنى الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص، وتأمل دقيق، مما يؤدي إلى ضياع حاضر الأمة الإسلامية في أي قطر من أقطارها، وتبديد لمستقبلها، فضلاً عما في ذلك من صرف عن منهجها وكتابها، وسنة رسولها.. وما يترتب على هذا الصرف من ضياع أي ضياع، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الالهي، ونظامها الشامل المتكامل، في كل زمان ومكان.

٤- أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم، لدولة من هذه الدول الكبيرة، فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم، وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة، وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً، هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك، فيحسبون أنهم بذلك على الصواب، ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب.

٥- أن يحول العدو بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافهـــا، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية، وسير أعلامها وقادتها.

٦- أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب، فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الأقليمية، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة فإن اضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها.

٧- أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية، وعاداتها وتقاليدها (١).

(١) انظر: الدكتور علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: ص/٨-١٠ بتصرف.

٨- تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف، وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشئ مفيد، وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التي جاءت بعده.

٩- إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم، والتركيز على دعوات الحركات الباطنية، وإخراجها بصورة جميلة مضيئة، و وصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكراً عالياً، وفلسفة عميقة (١).

١٠- إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، و إثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر.

١١- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها.

١٢- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، واءثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم (٢).

١٣- اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً.

١٤- تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية، المستمدة من الإيمان بالله، ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هو جاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس.

[يتبع]

(١) إبراهيم النعمة، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري: ص/٢٠.
(٢) أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي: ص/١٨.

« الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به »

للأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس

بقلم : الأستاذ الكبير علي القاضي

الإسلام هو الدين الذي جاء به محمد -ﷺ- وهو شامل للعقل والوجدان والجسم والروح وهو يخاطب الإنسان بكيانه كله ويتفاعل مع كل طاقاته وهو موجه للرجل والمرأة وللفرد والمجتمع معاً في سياق واحد دون انفصام أو تجزئة .

والرباط الذي يربط المسلم بالإسلام هو الرباط الذي يربطه بروحه ومن هنا كان لابد من العناية - في التربية الإسلامية - بالجانب الوجداني والجانب السلوكي والتربوي والأخلاقي إلى جانب التربية الروحية والجسمية .

وبذلك يصل الإنسان إلى مرحلة الإيمان والتقوى .

وبذلك يستطيع المسلم أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة باعتباره خليفة في الأرض يقول الله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٥) .

ومشكلة المسلمين اليوم تظهر في انحسار مفهوم المسلمين للإسلام نفسه وفي قصور المسلمين في تعاملهم مع الإسلام فما عاد المسلمون - إلا أقل القليل - يستطيعون الصعود إلى قمة التصور الإسلامي الصحيح .

إن الإسلام الكوني : قد أصبح في نظر بعض المسلمين - إسلاماً نوعياً

أو جزئياً أو مذهبياً أو نظرياً أو مظهرياً أو وسيلة من وسائل العيش - وقد أصبح تناول معظم المسلمين للإسلام تناولاً عفوياً أو سطحياً يعيش في دائرة هامشية تفتقد المعاناة الفكرية والمعاشية والتفاعل الواعي مع حقائق الإسلام - فكراً و نظاماً - ومع حضارته -واقعاً- ظهر في التاريخ البشري وارتبط بالزمان والمكان .

كما أصبح القرآن الكريم : لا يجاوز الحناجر - لدى الكثيرين - فقد أصبح الإسلام لا يجاوز التزاماً ببعض الشعائر في نظر بعضهم - ورسالة جاءت بالعقيدة الصحيحة - في نظر بعضهم وديناً لا يزيد في حجمه عن حجم الأديان الأخرى ولا علاقة له بنظام الحياة ومنهج السلوك الاجتماعي في رأى آخرين .

وبعض الناس لا يهمهم من أمر الإسلام إلا بعض القضايا المبتسرة وقد أهملوا - أولم يهتموا - ببعض الأسياسيات الإسلامية ويكاد الواحد منهم يلبس نظارة سوداء لا يرى من خلالها المسلم إلا في هذه الصورة التي رسمها .

ولذلك فإن الإسلام قد تحول - حتى في الجامعات الإسلامية ومعاهد الدعوة إلى نظرية وقانون ومذهب له تفسيره وفقهه وأصوله . أما روحه فليست موجودة في منهاج الجامعات والمعاهد الإسلامية وقد يكون الإنسان بهذا مسلماً لا مؤمناً وقديماً ظن بعض الأعراب أن الإسلام يكفي وقالوا : آمنا فرد عليهم القرآن بقوله :

﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ، إن الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٤) .

وحين ظن بعضهم أن لهم فضلاً بإسلامهم - على النبي - قال القرآن الكريم لهم في صورة واضحة صريحة :

﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ (سورة الحجرات . الآية ١٧) .

وهذا كله هو الذي جعل الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس يؤلف هذا الكتاب ليقدم الإسلام للمسلمين وغيرهم في صورة شاملة تبين تكاملية الإسلام وتجاوز الأخطاء المرحلية والضغوط المذهبية والاتجاهات الذاتية بعيداً عن التركيز العقلي الذي يجعل الإسلام مجرد نظرية فلسفية وبعيداً عن التركيز الفقهي الذي يجعل الإسلام مجرد قانون من القوانين وبعيداً عن التركيز الوجداني الذي يجعل الإسلام طرقاً صوفية أو تجربة روحية شخصية سرعان ما تحفل بالبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

لقد ألف هذا الكتاب محاولة لإيقاف هذا السيل من الأهواء الضاغطة التي توشك - عن حسن نية غالباً - أن تخرج الإسلام عن حقيقته النقية البيضاء وأن تفرض على الناس منظارها الذي تنظر به إلى الإسلام من زاوية خاصة . وبالتالي تنتهي به إلى ميزان خاص تزن به إسلام الناس كأنها - كما قيل - تريد أن تزن الجبل بميزان الذهب والله سبحانه وتعالى يقولها واضحة صريحة : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (سورة الحجرات . الآية : ١٣) .

ولذلك كان من أكبر مهام المخلصين لهذا الدين أن يعيدوا إلى المسلمين فهمهم الصحيح للإسلام حتى تنتهي هذه النظرة الجزئية للإسلام أو النظرة الخاطئة فتختفي النظرة الصوفية أو النظرة التي تكره الصوفية أو النظرة الشيعية أو النظرة العقلانية .

ومن الملاحظ : أن هناك قضايا عصرية عولجت بطريقة خاصة واشتط فيها بعض المسلمين وانحرف فيها بعضهم وهذه القضايا عولجت بعيداً عن ثلاث قواعد أساسية في التصور الإسلامي وهي :

أولاً : ضرورة ربط كل القضايا بالبناء الإسلامي الشامل والكامل .

ثانياً : ضرورة الربط بالقاعدة الأصولية القائلة بأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

ثالثاً : ربط القضايا بالمصالح الكبرى والمردود الفعلي لكل قضية بعيداً عن التشنج والانفعال المرحلي .

ومن هذه القضايا التي عولجت بطريقة خاطئة :

تكفير طوائف كثيرة من الأمة وتكفير الحكام أو تفسيقهم والصلاة في المساجد أو عدم الصلاة فيها لأنها بنيت بأيدي الحكومة .

لماذا اعتنقت الإسلام :

سأل محمد أسد نفسه هذا السؤال و سجل الإجابة في كتابه : « الإسلام على مفترق الطرق » فقال : « يجب أن اعترف بأنني لا أعرف جواباً شافياً - فلم يكن الذي جذبني إلا ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لا أستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهج الحياة العملية » .

ثم قال : « ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها ، فإن الإسلام - على ما يبدو لي - بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد صيغت مع هذا كله ووضعت في مواضعها - هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي - وربما كان مع هذا كله مؤثرات أخرى يصعب على الآن أن أحللها - وبالإيجاز - فقد كان ذلك قضية من قضايا الحب ، والحب يتألف من أشياء كثيرة من رغباتنا وتوحدنا ومن أهدافنا السامية ، وكذلك كان شأني » .

والإسلام ينتظم ثلاثة عناصر :

العقيدة والشريعة التي تشمل العبادات والمعاملات والأخلاق .

والذي يحافظ على هذه الأوضاع الإسلامية يحس بأنه يحيا في هذا الكون الصديق له .

وبذلك يمكنه أن يؤدي وظيفته في الأرض مستوحيا القوة والسلوك والاتجاه من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٢٤) .

إن القرآن الذي نزل على محمد -ﷺ- .

هو القرآن الذي لا زال بين أيدي المسلمين .

وإن آثار الجاهلية التي لمسها الجيل الأول من الصحابة ، يلمسها المسلمون في جاهلية العصر الحديث وكأن التاريخ يعيد نفسه .

ومع ذلك فإن موقف المسلمين الحضاري من القرآن الكريم والإسلام هو موقف في غاية الضعف والخمول في العصر الحديث .

إن المسلمين - في العصر الحديث - لا يريدون الشيوعية الإلحادية ، ولا يريدون النصرانية ولا اليهودية ولا غيرها من الأديان ، ولا يريدون أن يعيشوا دون أن يحملوا شعار دين ينتسبون إليه .

يقرأ عليهم القرآن فيدندنون ويهمهمون .

و بأمرهم بالجهاد و يعد المكتنزين بعذاب جهنم فيطربون و يهللون - ولا مانع من أن يؤدوا الصلاة ويصوموا شهر رمضان المبارك - شهر الخيرات والسهرات والفوازير .

ولا مانع أن يحجوا إلى بيت الله الحرام مرة ومرة ومرة .

ولذلك فإننا رأينا كثيراً من الذين دخلوا في الإسلام : حمدوا الله تعالى على أنهم دخلوه قبل أن يعرفوا المسلمين في فهمهم للإسلام وفي

تطبيقهم له وإلا ما دخلوه .

ويرى المؤلف الفاضل : أن من أكبر واجبات المخلصين لهذا الدين أن يعيدوا إلى المسلمين فهمهم الصحيح للإسلام وأن يسقضوا على فوضى الفهم للإسلام ثم بعد ذلك يمكنهم أن يدعوا إلى دين الله تعالى وهم يمثلونه التمثيل الصحيح .

وأن يشغلوا أنفسهم بالرد على أعداء الإسلام .

وأن يعملوا وأن يدركوا سنن الله في الكون وأن يكون العلم الحقيقي في مقدمة اهتماماتهم فالقرآن الكريم به نحو خمسين آية لتحريك العقل البشري إلى جانب عشرات الآيات في إيقاظ الحواس من سمع وبصر ولمس ، وعشرات الآيات في إيقاظ التفكير والفقه وطلب الحجة والبرهان .

وقد جاءت مادة العلم مراداً بها علم الناس لا علم الله في نحو ستمائة آية وقد كان من تقدير القرآن الكريم للعلم والعلماء أنه قرنهم بالملائكة في قوله :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٨) .

كما قال إن العلماء هم الذين يخشون ربهم في قوله بصيغة القصر :

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (سورة فاطر ، الآية : ٢٨) .

والمقصود بالعلم ، العلم الذي يقصد به النفع والخير لا الضلال والاستعلاء وأن يصحبه العمل الجاد المثمر .

وهكذا ينبغي أن يكون فهم المسلمين للإسلام فيؤمنوا به الإيمان الكامل الذي يجعلهم يقومون بوظيفتهم في هذه الحياة كما قام بها المسلمون الأوائل .

بذلك يعيشون في أمن وأمان وسلام واستقرار .

وبذلك يرضى الله عنهم في الدنيا وفي الآخرة .

دراسات وأبحاث :

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس

[الحلقة الثالثة الأخيرة]

الدكتور عبد الحليم عويس
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

وفي الأيام الأخيرة لغرناطة كانت هذه الآفة المادية قد باضت وأفرخت وأصبحت فلسفة وهدفا ، ولهذا فأنا أتجرأ وأزعم أن غرناطة - مع تقديرنا - كما ذكرت - لكل عوامل السقوط - لم تسقط بالحرب ، بل سقطت - بدرجة كبيرة - لسيطرة هذا العامل المادي على منهج الحياة ..

وقد أدرك الصليبيون وجود هذا المرض الخبيث في حكام غرناطة والمسيطرين على شئونها ، سواء من أبناء الأسرة الحاكمة أم الوزراء التنفيذيين ، أم بعض الفقهاء الذين اتخذوا الدين وسيلة للدنيا ، ولم يشتهر من الفقهاء - ونحمد الله على ذلك - إلا فقيه واحد ، يمثل قمة الخيانة للإسلام وعبادة المادة هو الفقيه البلقيني .. بينما اشتهر من الوزراء في أيام السقوط الوزيران اللذان توليا - مع الفقيه البلقيني - المفاوضات حول تسليم غرناطة للجانب الصليبي ، وهما الوزير أبو القاسم المليح والوزير يوسف بن كماشة - فلقد كان هذان الوزيران جشعين ماديين يبحثان عن مصالح مادية خاصة لهما ولملكهما وأسرته الحاكمة ، حتى في هذه الأيام النكداء .. أيام سقوط غرناطة ..

وقد كشف هذان الوزيران عن مدى وضاعتهما النفسية ونهمهما المادي من خلال تلك الرسائل التي كانا يرسلانهما إلى المفاوض النصراني (إيرناندو دي ثافرا) الذي كان يفاوضهما باسم فرناندو وإيزابيلا ، فقد جرت عادتهما القبيحة أن يبدءا الرسائل - وأحياناً يختتمانها -

بعبارات تفيد أنهما يقبلان قدمي الملكين وأيديهما (١) ، وفي ذلك أكبر دليل على أن الرجلين عميلان للنصارى ، وكانا في الوقت نفسه يتظاهران أمام أبي عبد الله بعكس ذلك (أي أنهما يعملان من أجل الصالح العام !!؟) ويؤكد لنا خيانة الرجلين تلك الرسائل التي وجهها إليهما المفاوض النصراني ايرناندو دي ثافرا ، وفيها يقدم الوعود بالمكافأة من قبل الملكين لأبي القاسم المليح ويوسف بن كماشه ، وكانت تلك الوعود مقرونة بطلب الملكين فرناندو وإيزابيلا من أبي القاسم ويوسف بن كماشه بضرورة التعجيل باستسلام غرناطة (٢) ، كما يؤكد خيانتهما أنهما كانا يتغاضيان مرتبات من قبل الملكين الكاثولكيين في الوقت الذي يشتد فيه الحصار على أبناء دينهم .

وقد بلغ التكالب المادي والخيانة بالوزير أبي القاسم المليح أن يخاطب مفوض الملكين الكاثولكيين (إيرناندو دي ثافرا) بقوله : « أقسم بالله وبالشريعة أنني إذا استطعت أن أحمل غرناطة على كتفي لحملتها إلى أصحاب الجلالة ، وهذا برغبتي ، وليقض الله عليّ إذا كنت أكذب ، كما أتمنى أيضاً من الله أن ينتهي هذا الأمر على خير (أي تسليم غرناطة) من هؤلاء القوم المجانين (يقصد الشعب المسلم الرافض لصفقة بيع غرناطة) وأرجو أن تكونوا على يقين بأنني خادم شريف و مخلص لأصحاب

---

(١) انظر : رسالة أبو القاسم المليح إلى إيرناندو دي ثافراورسالة يوسف بن كماشة وأبو القاسم المليح إلى الملكين الكاثولكيين ، في :
(Archivo de Herndo de Zafra) .

(٢) انظر : رسالة إيرناندو دي ثافرا إلى أبي القاسم المليح ، وانظر رسالة أبي القاسم ويوسف بن كماشة والتي يطلبان فيها من الملكين النصرانيين أن يرسلا لهما مبلغ ألف دويلة (انظر : عبده عواجي : الخلافات السياسية في الدولة النصرية ودورها في سقوط الأندلس : ص/٢٥٧ ، رسالة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٠هـ) .

الجلالة . لكن أهل المدينة لم يصل إدراكهم سنّ النضج والتفتح (١) (لأنهم يرفضون الصفقة المشينة) .. ! » .

ومن الغريب أن السلطان أبا عبد الله أشار إلى أن الشكوك كانت تساور مسلمى غرناطة تجاه أبي القاسم المليح ، وأنه كان يريد بيعهم للنصارى ، وقد جرت محاولات للإطاحة به لكنها فشلت (٢) ونعتقد أن السبب في بقاء هذا الخائن مساندة الجانب النصراني وبعض شركائه في الخيانة له .

ولم يقتصر المفاوض النصراني إيرناندو دي ثافرا على التفاوض مع أبي القاسم المليح ويوسف بن كماشة ، بل استطاع أن يجذب إليه عملاء آخرين اشتركوا في المفاوضة ، منهم المدعو بالفقيه البلقيني الذي كان أحد المقربين من السلطان أبي عبد الله ، وعلى دراية كاملة بما يدور حوله ، وكان يتمتع بحظوة خاصة عنده ومن المستشارين المقربين إليه .

وقد اهتم إيرناندو دي ثافرا بهذا الفقيه الخائن لدينه وأمته ليخدم سادته من خلال مداهنته وتقديم الوعود البراقة له واغداق النعم عليه باعتباره أقرب المقربين إلى أبي عبد الله نظراً لمكانته الدينية .

وبالفعل فقد حالف الحظ إيرناندو دي ثافرا ، فقد شرع الفقيه المذكور في بعث الرسائل إليه وأصبح جاسوساً للنصارى على سلطانه أبي عبد الله ، وصار يوافيهم بكل تحركاته وسكناته ، وبما يدور في خلده تجاههم (٢) .

وفي نهاية إحدى رسائله إلى إيرناندو دي ثافرا يصرح بمطالبه

---

(١) من أرشيف فرناندو ثافرا .

(٢) عبده عواجي : المرجع السابق : ص/٢٥٩ .

(٣) انظر رسالة الفقيه البلقيني إلى إيرناندو دي ثافرا - في :
(Archivo de Herndo de Zafra) .
وانظر : عبده عواجي : الخلافات الأسرية : ص/٢٦٠ .

الشخصية من الملكين الكاثولكيين وهي التأكيد على حصوله على منصب قاضي البشرات وأمور أخرى (١) .

لقد كشفت لنا الوثائق أن الوزيرين أبا القاسم المليح وابن كماشة والفقيه البلقيني يصدرون - مع أبي عبد الله - عن منهج واحد ، فقد انحسر همهم في الحصول على الأعطيات والامتيازات التي يمكنهم أن ينالوها من أصحاب الجلالة بفضل كرم أخلاقهم مع النصارى وتفريطهم في حقوق الإسلام والمسلمين (٢) .

وانطلاقاً من هذا المنهج فقد تضمنت المراسلات الجارية بينهم وبين المفاوض النصراني ، كما تضمنت وثائق تسليم غرناطة - قوائم بالأعطيات التي ستمنح للملك ولوزيريه الخائنين ، ومما ورد في وثيقة من هذه الوثائق أنه في اليوم الذي ينبغي فيه تسليم الحمراء لأصحاب الجلالة يلتزم فيه أصحاب الجلالة بتسليم الأمير والرهائن الذين معه ، وأيضاً عليهم تسليم مبلغ الثلاثين ألف قشتالي للملك والعشرة الآلاف لابن كماشة والعشرة الآلاف الأخرى لأبي القاسم المليح ليكون إجمالي المبلغ خمسين ألف قشتالي وذلك في نفس اليوم ، وعند ما ينفّذ أصحاب الجلالة ذلك وكل هذه العطايا وكل هذه الأشياء المكتوبة في شروط الاتفاقية سيلتزمون بتسليم الحمراء بقواتها وأبوابها كما هي عليه الآن في حيازة الملك (٣) .

وفي نص جديد لرسالة الامتيازات يرد الآتي بعد المقدمة (.....) :

يتم الإثبات والاتفاق بأنه على أصحاب الجلالة أن يعملوا على تقديم العطايا للملكات : أمه وأخواته وإلى الملكة زوجته وزوجة مولاى أبي

---

(١) الأرشيف السابق ، المرجع السابق : ص/٢٦٨ .

(٢) عبده عواجي : المرجع السابق : ص/٢٧٠ .

(3) Archivo de Herndo de Zafra .

النصر وتأكيد أن لهن كل البساتين والأراضي والطواحين والحمامات والممتلكات التي لهن في مدينة غرناطة وفي البشرات ليكون كل شئ لهن ولورثتهن وخلفائهن بحق الميراث للأبد . وأنه يمكنهن البيع والنقل والتصرف بالشكل والطريقة التي يرونها للممتلكات الأخرى للملك المذكور .

ويتم الإثبات والاتفاق على أن كل الممتلكات المذكورة الخاصة بالملك المذكور وبالملكات المذكورات وزوجة مولاى أبي النصر المذكور تكون معفاة من كافة الرسوم التي كانت حتى تاريخ اليوم اعتباراً من الآن وإلى الأبد .

وأمر آخر ، إن كل ما أخذه ملك غرناطة وقادته وفرسانه من ممتلكات وعقارات وبساتين وأشياء أخرى سواء بطريق العدل أو بغيره من المسلمين أو المسيحيين في أيام السلم أو في أيام الحرب يأمر أصحاب لجلالة ومن يخلفهم بعدم مطالبة أي شخص بأي شئ ولا بحق السنة من الآن ولا في أي وقت .

ومما ورد في هذا النص أيضاً يؤكد سيطرة النزعة المادية ما يلي :

« لا تدفع رسوم عن الأراضي الأميرية من البساتين أكثر مما كان يدفع عادة عليها ، تلك المجاورة للعقارات العامة ولا ترفع الرسوم حيث إنها مجاورة وقريبة من المدينة ، ولا يحق لأي شخص أن يلحق بها أضراراً ، وإن القادة والفرسان كانوا يعتادون على ذلك بخصم أجورهم من الرسوم ولهذا كانوا يكلفونهم أكثر مما كانوا يستحقون » .

« وأمر آخر ، إن كل المناطق الآهلة وغير الآهلة والعليا والسفلى وكل مناجم الملح والأشياء الأخرى والموجودة في الملاحات المذكورة وقراها في «اسكاثار» (Escazar) و « اجرون » (Agron) و « بيره » (Beyra) و « يوكار» (Yucar) و « كوبوليه » (Gopolier) و « قاسن » (Gacin) ونهرها و « وله » (Huelme) و « تيجارجال » (Tigargal) وقرية « الدويار » (Doyar) وقرية البوردا » (Bordaor) و « بوفانتيس » (Bovantes) وقرية « سورفيان »

(Sorvillan) و قـــرية « ديستانبيسا » (Destanbisa) و « جارجيليس » (Jarjilis) و « المثار» (Almachar) يوقع عليها أصحاب الجلالة والقسم بحق الميراث بأنه يمكننا بيعها أو الاحتفاظ بها أو التصرف فيها وأن يرثها أحفادنا وأحفاد أحفادنا لكل تلك المناطق الآهلة وغير الآهلة والمراعي ، وكل عشيراتها وعوائدها ورسومها ، وكل الذين يريدون تعميرها من المسلمين » .

و أمـر آخـر ، إن كل منطقـة « العقارين » (Alecrin) و « لانجارون » (Lanjaron) بقواتها ورسومها وممتلكاتها وعشيراتها ومناجمها لا يدخلها أي أحد معنا ولا في مجالس قضاتها ويلتزم بذلك أصحاب الجلالة من الآن وفي كل وقت .

وأمر آخر ، في مقاطعة « دالّيه » (Dalia) ترعى الماشية الخاصة بالمسلمين في وقت الشتاء .

أمر آخر ، أن تكون ملاحات مقاطعة « داليه » (Dalia) مثلها مثل الآتي ذكره وأيضاً أراضي قرية « أوتورا » (Autura) وديارها وبستانيها وكل طواحينها والأراضي الأميرية والقسم بأن تكون ميراثاً لابني محمد وكذلك لابن الوزير وكل قرية « بولينا » (Pullena) وأن تكون ميراثاً أيضاً كل تركة محمد بن الحاج في منطقة « العقارين » (Alacrin) و فـــي « فريره » (Ferreyra) و « بوركيره » (Porqueyra) وفي غرناطة بأراضيها وبساتينها وديارها،وحقول الزيتون تكون لابني «حامدي » (Hammete) لتكون ميراثاً له وكذلك ما تركه أبو القاسم وابن المليح في غرناطة وفي العقارين وفريره وبوركيره لابن الوزير محمد ، ليكون ميراثاً له وكذلك قرية « جوشار» (Goxar) لابن عمي الجويني لتكون ميراثاً له .

أمر آخر أن يمنحنا أصحاب الجلالة مصداقيتهم ويقسموا لنا بشريعتهم ، وأن يلتزم السيد الأمير بذلك معنا من الآن وبعد الآن وإلى

الأبد بألا يخذلنا ، وأن نحظى بالشرف في كل ممتلكاتنا التي نحصل عليها في دار أصحاب الجلالة وفي دار الكونتات وعلية القوم ، وأن يمنح التفويض المناسب بذلك ، وهذا ما نأمله من أصحاب الجلالة ، وكذلك بالنسبة لكل الذين خرجوا معنا من الفرسان بأن يتم إعفاؤهم من الرسوم كما لو كانت ديارنا وممتلكاتنا المعفاة في غرناطة إلى الأبد .

أمر آخر : أطلب من جلالتكم أربع دواب سليمة البنية وبغلتين تكون كل واحدة منهما عالية وعريضة !!

تُرى : هل كنّا على حق عند ما ألمحنا إلى أن غرناطة لم تسلم بحرب ، ولم تهزم في معركة ، وأنها قد بيعت في صفقة مشينة تجسد صورة من أحط صور الخيانة والسعار المادي .. ؟

إن شروط التسليم ، والرسائل التي تبودلت بين الجانبين المتفاوضين - في غيبة الشعب المسلم المقهور- تؤكد أن الأمر كان صفقة تجارية ، تخضع للرشاوى المباشرة والهدايا المشبوهة .. وأن الأمر لم يكن خسارة معركة أو سقوط دولة .. بل كان عبادة للمادة ، وكفراً بالإسلام .. فالذين سلّموا غرناطة - أو باعوها - كانوا قد خلعوا ربقة الإسلام قبل ذلك .. وكانت المفاوضة بالتالي - تتم بين كاثولكيين من جانب .. وغير مسلمين من جانب آخر !!

وهكذا تضغط عبادة المادة على وجدان الإنسان وعقله حتى تخرجه عن دينه ، مهما كان دينه الأزكى والأعلى ..

وكما وقع هذا في كثير من الحضارات السابقة ، ويقع الآن في الحضارة الأوربية المعاصرة ، فقد وقع - كذلك - في غرناطة ..

﴿ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ و لله عاقبة الأمور .

.....

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الأول :

أ - ترجمة الإمام النسائي :

١ - التعريف به : هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي صاحب السنن (١) .

النسائي : قال ابن خلكان (٦٨١هـ) : نسبته إلى « نساء » بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همزة ، وهي مدينة بخراسان ، خرج منها جماعة من العلماء (٢) .

وقال القارئ : بفتح النون والمد (٣) هو اسم بلد كان سبب تسميته بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها ، فلما أتوها لم يروا بها رجلا فقالوا هؤلآء نساء ، والنساء لا يقاتلون فننسئ أمرها إلى أن يعود رجالها وتركوها ومضوا ، وهي بينها وبين سرخس يومان (٤) .

٢- مولده ونشأته : ولد الإمام النسائي بنسأ سنة خمس عشرة

---

(١) هذا هو الصواب في نسبه ، وهكذا ورد في معظم الكتب التي ترجمته . انظر (سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٥) و (تهذيب الكمال : ١/٢٢) و (تهذيب التهذيب : ١/٢٦) و (خلاصة تهذيب التهذيب : ١/٧) و (المنتظم : ٦/١٢١) .
وما ذكر ابن خلكان في (وفيات الأعيان : ١/٦٦) من زيادة علي بين أحمد وشعيب فهو خطأ .

(٢) وفيات الأعيان : ١/٦٦ .

(٣) مرقاة المفاتيح : ١/٢٢.

(٤) مراصد الاطلاع : ٢/١٢٦٩ .

ومائتين (١) قال النسائي : يشبه أن يكون مولدي في سنة خمس عشرة ومائتين (٢) . وتلقى العلم من علماء بلده ثم ارتحل وطوف بالبلاد في طلب العلم وتحصيل الرواية .

في سنة مائتين وثلاثين رحل إلى قتيبة بن سعيد وله خمس عشرة سنة . فقال أقمت عنده سنة وشهرين (٣) .

قال الذهبي (٧٤٨هـ) : جال في طلب العلم في خراسان والحجاز ومصر والعراق و الجزيرة و الشام و الثغور ، ثم استوطن مصر و رحل الحفاظ إليه و لم يبق له نظير في هذا الشأن (٤) قدم مصر قديماً وكتب بها وكتب عنه (٥) انتشرت بها تصانيفه وطلب له القيام بها فأقام طويلاً ، ثم خرج من مصر قبيل وفاته سنة ٣٠٢هـ إلى دمشق .

٢- **شيوخـــــه :** سمع من خلائق : وسرد الحافظ الذهبي أسماء جماعة في « سير أعلام النبلاء » منهم قتيبة بن سعيد (٢٤٠هـ) ، وإسحاق بن راهوية (ت ٢٢٨هـ) أحمد بن منيع (ت ٢٤٤هـ) والحارث بن مسكين (ت ٢٥٠هـ) وهناد بن السرى (ت ٢٤٣هـ) وأبو داؤد السجستاني (ت ٢٧٥هـ) . والترمذي (ت ٢٧٩هـ) صاحب السنن ، قيل إن النسائي روى عنه (البخاري) في الصيام من سننه ولم يصح ، ولكن تعقب عليه الحافظ ابن حجر حيث ذكر النسائي من الكبار الآخرين عن البخاري (٦) .

التحقيق في أن النسائي قد سمع عن البخاري :

قال الحافظ ابن حجر : أما ما رجحه المصنف (أي مصنف تهذيب

(١) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٥ .
(٢) تهذيب التهذيب : ١/٣٦ .
(٣) تذكرة الحفاظ : ٢/٥٤ .
(٤) انظر سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٧ .
(٥) انظر تذكرة الحفاظ : ٢/١٤٢ .
(٦) مقدمة فتح الباري : ص/٤٩٣ .

الكمال) وهو المزى من أن النسائي لم يلق البخاري فهو مردود إلخ ، والحاصل أن من أنكر كون البخاري من مشايخه احتج عليه بأن النسائي - رحمه الله - يروى في كتاب الكنى له عن البخاري بواسطة عبد الله بن أحمد الخفاف ولو كان من مشايخه لروى عنه بدون الواسطة . لكن أثبت الحافظ ابن حجر بثلاثة دلائل كونه من مشايخه : الأول : أن النسائي نفسه ذكر الإمام البخاري في مشايخه ، والثاني : أن ابن مندة روى في كتاب الإيمان له عن النسائي عن البخاري حديثاً ، والثالث : أنه روى النسائي في السنن الكبرى روايات عديدة عن البخاري من غير واسطة (١) ثم الحديث الذي رواه النسائي عن الإمام البخاري في الصيام على اختلاف النسخ هو ما أخرجه النسائي في باب الفضل والجود في شهر رمضان من كتاب الصوم (٢) ولفظه أخبرنا ابن إسماعيل البخاري ، قال : حدثني حفص بن .... إلى آخره . وهذا في النسخة التي بأيدينا وهي نسخة ابن السنى وفيها تصريح بأن محمد بن إسماعيل هو البخاري ، بعد هذا لا يبقى شك في أن البخاري من شيوخه .

٤- **من روى عنـــــه :** قد أخذ عنه خلق كثيرون وتلقوا عنه منهم : أبو بشر الدولابي (ت ٣١٠هـ) وأبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) صاحب المعاجم الثلاثة ، والإمام أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ) وأبو حاتم ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) وحمزة بن محمد الكناني (ت ٣٥٧هـ) وأبو بكر أحمد بن محمد بن السني (ت ٣٦٤هـ) ، ومحمد بن معاوية بن الأحمر الأندلسي (ت ٣٥٨هـ) ، والحسن بن رشيق (ت ٣٧٠هـ) وخلق كثير (٢) .

(١) انظر تهذيب التهذيب : ٩/٥٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٨ .
(٢) سنن النسائي : ٤/١٢٥ .

وذكر الحافظ المزي (ت ٧٤٢هـ) أسماء كثير منهم نحواً من خمس وخمسين نفسا منهم أبو عوانة صاحب المستخرج (١) .

مذهبه الفقهي : إن أهل العلم اختلفوا في مذاهب أئمة الحديث فبعضهم عدوهم من المجتهدين وآخرون رأوهم من المقلدين ، قال الإمام ولي الله الدهلوي (ت ١٧٦هـ) أما البخاري فإنه كان منتسباً إلى الشافعي وموافقاً له في كثير من الفقا ، وقد خالفه أيضاً في كثير ، وأما أبو داؤد والترمذي فهما مجتهدان منتسبان إلى أحمد وإسحاق ، وكذلك ابن ماجة والدارمي فيما نرى ، وأما مسلم والذين ذكرناهم (وهم النسائي والدار قطني و البيهقي و البغوي) فهم منفردون لمذهب الشافعي ، و يتأصلون دونه (٢) . وحكى الشيخ طاهر الجزائري (ت ٣٣٨هـ) أن الإمامين البخاري وأبا داؤد مجتهدان ، والباقي منهم النسائي على مذهب أهل الحديث ليسوا بمقلدين بواحد من الأئمة ولا من المجتهدين (٣) .

وقال العلامة الكشميري (ت ١٣٥٢هـ) : النسائي وأبو داؤد حنبليان صرح به الحافظ ابن تيمية (٤) .

وأما الأمير صديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ) فقد ذهب إلى أنه شافعي (٥) وهذا هو الأرجح لأنه صنف كتاباً في المناسك على مذهب الشافعي ، فقد ذكر الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٦) قال ابن الأثير في أول « جامع الأصول » كان شافعياً ، له مناسك ، ألفها على مذهب الشافعي (٧) من هنا

---

(١) تهذيب الكمال : ١/٢٢ و ٢٤ . (٢) الانصاف في سبب الاختلاف : ص/٨٠ .
(٣) انظر توجيه النظر : ص/١٨٥ . (٤) فيض الباري : ١/٥٨ .
(٥) انظر أبجد العلوم : ص/٨١٠ . (٦) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٠ .
(٧) ج/١، ص/١٩٦ .

تبين لنا أن لا يبعد أن يكون النسائي في الطبقة الثانية من فقهاء الشافعية وهي طبقة المجتهدين في المذهب ، الذين يوافقون في الأصول ويخالفون في الفروع لإمامهم ، والله أعلم (١) .

٦- أخلاقه وصفاته : كان شيخاً مليح الوجه طاهر الدم حسن الشيبة ، وكان نضر الوجه مع كبر السن (٢) .

كان رحمه الله غاية في الورع والتقى متحرياً ، يصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد ، وإقامة السنن المأثورة واحترازه عن مجالس السلطان وإن ذلك لم يزل دأبه إلى أن استشهد (٣) .

٧- وفاته : توفي الإمام النسائي في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة (٤) بعد أن عمر تسعاً وثمانين سنة .

وقال محمد بن جعفر الكتاني : توفي الإمام النسائي بالرملة بمدينة فلسطين من أرض الشام ودفن بها ، وقيل : حمل إلى مكة وتوفي بها فدفن بها بين الصفا والمروة (٥) وخالف في هذا الإمام الذهبي فقال : الصواب

---

(١) ولا بد من الإشارة هنا إلى المسألة الآتية : سئل النسائي عن إتيان النساء في أدبارهن ؟ فقال : لا يصح في الدبر شئ ، لكن حدث محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس قال : إسق حرثك حيث شئت ، فلا ينبغي أن يتجاوز قوله .
وتبين لنا معنى قوله لا يصح في الدبر شئ أي لم يثبت حديث لجواز إتيان المرأة في دبرها ، بل إنه حرام وأيد رأيه بما ذكر من قول ابن عباس ، هو رأى الشافعية وجمهور العلماء ، انظر (سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٧ و ١٢٨ .
(٣) تهذيب التهذيب : ١/٢٨ .
(٤) وفيات الأعيان : ١/٦٥ .
(٥) الرسالة المستطرفة : ص/١١ .

أنه توفي بالرملة (١) ودفن ببيت المقدس وهذا هو الذي جزم به ابن يونس وهو من تلاميذ النسائي في تاريخه وقال به أبو جعفر الطحاوي وأبوبكر محمد بن عبد الغني بن نقطة (٢) هو الراجح من سياق حياة النسائي ولقائه بأمير الرملة كما سيأتي تفصيله في الحديث عن السنن واختصاره.

ب - ثناء الأئمة عليه :

أثنى عليه بعض من عاصره من العلماء، وكثير ممن جاء بعده ثناء طيباً وإلى القارئ بعض أقوالهم فيه :

١- قال أبو علي النيسابوري : أخبرنا الإمام في الحديث بلا مدافعة (٣).

٢- قيل لعلي بن عمر الدار قطني : إذا حدث محمد بن إسحاق بن خزيمة وأحمد بن شعيب النسائي حديثاً من تقدم منهما ؟ قال (الدار قطني) : النسائي لأنه أسند على أني لا أقدم على النسائي أحداً ، وإن كان ابن خزيمة اماما ثبتا معدوم النظير .

٣- كان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن أحد غير أبي عبد الرحمن النسائي فقط، وقال : رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى .

٤- قال الدار قطني : كان أبو عبد الرحمن النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعلمهم بالرجال (٤) .

٥- قال الذهبي : كان من بحور العلم من الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف ولم يكن أحد في رأس الثلاث مائة أحفظ من

---

(١) بلدة بفلسطين .

(٢) انظر (البداية والنهاية : ١١/١٢٤) و (سيرأعلام النبلاء : ١٤/١٢٢ و ١٢٣)

(٣) وفيات الأعيان : ١/٦٥ .

(٤) تهذيب التهذيب : ١/٢٧ .

النسائي هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم وأبي داؤد ومن أبي عيسى (١) .

قلت في هذا شئ من المبالغة . والدليل على ذلك أن الحافظ ابن كثير قال : وقول ابن السكن وكذا قول الخطيب في كتاب السنن ، انه صحيح ، فيه نظر وإن له شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم غير مسلّم ، فإن فيه أي في كتاب النسائي رجالاً مجهولين إما عينا وإما حالا وفيهم المجروح (٢) .

مـــؤلفـــاتـــه :

صنف الإمام النسائي مؤلفات عديدة (٣) منها :

١- مسند علي . ٢- الكني . ٣- خصائص علي . فهو داخل في سننه الكبير . ٤- عمل يوم و ليلة . ٥- التفسير . ٦- كتاب الضعفاء والمتروكين . ٧- كتاب المناسك . ٨- كتاب الجمعة . ٩- كتاب التميز. ١٠- فضائل الصحابة . ١١- تسمية فقهاء الأمصار. ١٢- السنن الكبرى . ١٣- السنن الصغرى .

وهذه الكتب منها ما هو مطبوع أو مخطوط ، ومنها ما عرف بذكر بعض الأئمة له ونقلهم عنه .

ويتبعه
(المبحث الثاني)

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٧ .

(٢) اختصار علوم الحديث : ص/٢٢ .

(٣) انظر (سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٥) و (تدريب الراوي : ص/٢٦٤) و (التقييد والإيضاح : ٤٤٧) و (تاريخ التراث العربي :١/٢٦٦) و (تاريخ الأدب العربي : ٢/١٩٩) .

العالم الإسلامي :

قل موتوا بغيظكم

بقلم : فضيلة الشيخ سعود بن محمد آل عوشن - الرياض

لقد دأب الإعلاميون في العالم العربي والإسلامي في حملتهم على الإسلاميين في أي قطر إسلامي وذلك على المستويات المختلفة من أعلاها إلى أدناها ويضعون الخطط والعراقيل في وجه التيار الإسلامي الجارف ودون جدوي فكلما عملوا على سد طريق فتح بدله عشرات الطرق وكلما حاولوا كتم صوت نطقت بدلاً منه مئات الأصوات وان صادروا كلمة أو كتيباً ذاع وانتشر حتى يملأ المكاتب ، وإن منعوا شريطاً نسخت منه مئات الآلاف من الأشرطة ، فأسقط في أيديهم في كل مجال ، وبعد أن كانوا يستترون في حربهم على الإسلاميين حفاظاً على مقاماتهم وشعبيتهم إذا بهم يعلنونها حرباً صريحة في مواجهة الإسلام ، فيفقدون فعلا تلك الشعبية والثقة التي كانت توليهم إياها جماهير الأمة ، ثم إذا بهم يتساقطون ويتفككون لفقد ثقة بعضهم في بعض من ناحية وليقظة البعض منهم ووضوح الحق له فيهرب من الضلال والتضليل إلى البيان والتبيين ، وأخذوا في الفترات الأخيرة يلهثون وراء أسيادهم ومعلميهم من اعلام الغرب ، ويتلقفون منهم كل طريقة لمحاربة الإسلاميين ، بل كل كلمة يتخذها الغرب في وصفه الفئة المسلمة يأخذها الإعلام العربي في الترديد دون إدراك لمعناها ، سواء تنطبق عليهم أو لا تنطبق ، فما دام الغرب قالها نقولها ، ومن الغريب في أمر هؤلاء الاعلاميين أنهم يلمسون ويدركون انتصارات الإسلام وأهله ، ولذا أصابهم الرعب والخوف منه

وسخروا لحرية الأموال والجهود كل الوسائل ، ظنا منهم بأنهم سيهزمونه لاعتقادهم الفاسد بأنها حرب بين بشر وأنهم يملكون من الوسائل والإمكانيات مالا يملكه أضدادهم من حملة لواء الإسلام ،ولضعف أو عدم إيمانهم بالنصوص القطعية الثبوت بالكتاب والسنة والتي تفيد بأن النصر بيد الله وأن الله ينصر من ينصره ، فلينفقوا طاقاتهم وليموتوا بغيظهم وليعلموا علم يقين أن الله سيصدق وعده وينصر حزبه ويظهر دينه على الدين كله مهما وضع أمامه من عراقيل أو قيود وأن المنافقين والكافرين سيجنون ما زرعوا ﴿ الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله • فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ﴾ وسينالون هزيمة وذلة في الحياة الدنيا وعذابا وعقاباً في الآخرة فالله لهم بالمرصاد ، ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فأين المهرب يا رجال الاعلام ان كنتم تعقلون هل تلوذون عنه بأمريكا وأوربا التي تسيرون في ركابها ، ومعظمها خطب جهنم ، أم ستكونون معهم في السعير ما دمتم تحاربون الله ورسوله وأولياءه ؟! الأجل دريهمات قليلة ولذات قصيرة ، تبيعون حياتكم الوحيدة بالدنيا والآخرة بتلك ، فلا سعادة ظفرتم بها في الدنيا مع قصرها ، ولا أمل ترجونه في الآخرة ، إن هذا هو الخسران المبين ، تعيشون الدنيا بين الخوف والرعب ، والحسرات والندم وتأنيب الضمير ، وفي الآخرة ماذا ينتظركم من الحساب العسير والعذاب المستطير إن لم تتداولكم رحمة من الله بتوبة عاجلة قبل فوات الأوان ، فهل تدركون ذلك ، أو تفهمونه ، أو تعقلونه ، أم على قلوب أقفالها ، عافانا الله من كل بلاء وأنار لنا طريق الحق وهدانا إليه و وقانا من كل سوء ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

رسالة ولد إلى أبيه بعد وفاته :

الأستاذ محمد الخزنوي - سوريا

الحمد لله الذي لا يبقى إلا وجهه ولا يدوم إلا ملكه والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه أجمعين .

إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا على فراقك يا أبانا ، لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا لله وإنا إليه راجعون .

والدي : ما كان يدور في خلدي ولا يخطر على بالي في يوم من الأيام أنني سأمسك بقلمي الراعش لأخط كلمات في نعيك وأحمل يراعتي المضطربة لأتحدث عن شمائلك وأرثيك ولكن القدر إذا حل والقضاء إذا نزل فما للقلوب المفجوعة الثكلى إلا التسليم المطلق والرضا الكامل بما يقدر الله ويفعل ، ولكن أي بيان مهما عظم عاجز عن أن يوفيك حقك ، وأي كلام وأي قلم قاصر عن أن ينطق بما يعتمل في الصدور ويختلج في القلوب ، وشهد الله أن الخبر المحموم الفاجع حينما قرع الآذان ، كادت القلوب أن تنفلق والأفئدة أن تتمزق ، وكأن صاعقة نزلت من السماء وكاد الصواب أن يطير من هول الصدمة وجسامة الكارثة وفداحة الفاجعة ، لو لا تمسكنا بحبل الله المتين واستعصامنا بإيماننا .

أبتاه ! لقد كنت تحمل بين جنبيك نفساً جبارة وروحاً عالية لا تعرف الملل لا تعرف إلا معاني الجد حتى في أوقات الراحة والمرض ، كم كنت أقول مهلا يا أبتاه فإن الأطباء لا يسمحون لك بهذا الجهد والتعب والسهر ، فتقول يا ولدي ما قيمة حياتي إذا صار حجاب بيني وبين إخواني ، الموت أحب إلى من ذلك .

إن همتك العالية كانت تجعلك تحلق دائماً إلى الأعالي ، لقد كنت تنظر إلى الدنيا الفانية بكل متعها وملذاتها ومغرياتها بل بكل رجالها

وطبقاتها كما ينظر راكب الطائرة المحلقة في أعالي الفضاء إلى المدن والقرى والناس ، ولذلك بقيت ناجحا في دعوتك ومسارك مؤيدا بنصر الله لك وحتى آخر لحظة من حياتك بقيت وأنت ترعى المعهد الشرعي الخزنوي المجاني بتل معروف - القامشلي الذي أسسه والدك الشيخ أحمد الخزنوي منذ عام ألف وتسعمائة وعشرة .

لقد أنفقت على المعهد الداخلي طيلة حياتك من جيبك الخاص دون أن تسمح لأحد أن يساهم بليرة واحدة في ذلك لتعليم الناس وتربيتهم على العفة والنزاهة وتصحح مسار الطرق كلها وتنبه الناس أن مهمة الشيخ المربي عملية قبل أن تكون قولية ، وتضحية بالمال قبل سرد الأقوال ، وأنها حقاً لمهمة صعبة فقد كنت تقدم الخدمات لأكثر من أربعمائة طالب طيلة حياتك ونرجو الله أن يوفقنا نحن أنجالك أن نتابع السير من بعدك على نهجك ولو حبوا ، كنت يا سيدي تسخر أموالك في سبيل راحتهم وتجند أبناءك في تعليمهم وتسهر على تربيتهم وتزكيتهم ، أما موائدك العامرة في التكية المباركة وخارجها والتي كانت ولا يزال يؤمها آلاف الناس يومياً والحمد لله فقد ذكرت المجتمع بالرجال المخلصين الذين فنوا في الله وعاشوا لمجتمعاتهم ، والفرنان اللذان يعملان ليلاً ونهاراً يقدمان الخبز الطازج لكل راغب وطالب مجاناً ، أثبتا للناس أن في أمة محمد -ﷺ- بقية من الرجال الذين جسدوا جوانب عملية في حياة سيدنا رسول الله -ﷺ- الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، أما في مجال التربية والسلوك فقد كنت يا سيدي قبلة للسالكين ، وموئلاً للطالبين داعياً إلى الله بحالك قبل قالك ، أمرضت جسمك لتصلح قلوب الآخرين ، أتعبت بدنك لتخريج نفوس الناس ، كدرت خاطرك لتطمئن قلوبهم وخواطرهم بطلعتك البهية ، ذكرتهم بالله ، ربطتهم بشريعة الله وأنشأت أجيالاً علموا بل شعروا حقاً ومن أعماقهم أن في القلب شعثا لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله ، وفيه حرقة

ونيرانا لا يطفئ آوراها إلا محبته ، والإنابة إليه ودوام ذكره ، وصدق الإخلاص له ، وكم كانت لك آمال عريضة وبعيدة في مجال الدعوة إلى الله ، وبالمقابل كم كان الطريق إليها شائكا وطويلاً ، والعقبات متنوعة والمعوقات كثيرة ومع ذلك كنت قوي النفس ماضي العزيمة دائم الجهاد ، زرت الكثير من البلدان إلى أن وصلت أوربا وغرست فيها غرسة الإيمان لأنك كنت تسند ظهرك إلى إيمان قوي بالله وتشد أزرك بيقين خالص لا حدود له ، فكنت لا تبالي بشئ في جنب الله ، كنت راسخاً حين اضطربت سفينة الحياة وأحاط بها الموج في كل جانب ، كنت بإيمانك ومعرفتك بالله أقوى من الأمواج والأعاصير ، ولا عجب ، فالله يقول : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ والرسول يقول : إن من أمتي لرجالا الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي ، ويقول لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال ..

والدي : لم تبق عين من عيون محبيك إلا وأسلبت عليك الدموع .

تبكيك يا فلذة الأكباد أعيننا
دما يسيل على الخدين مدراراً
خلفت بعدك أكبادا مقرحة
تبقى على الحزن آمادا و أدهاراً

لم يبق قلب محب لك ينبض بذكر الله إلا وذاق لوعة الحرقة واكتوى بنار المصيبة ، لم يبق فم محب لك إلا وانطلق يلهج بذكرك الطيب ويتحدث عن خلالك الكريمة ويروى أخبارك ومجالسك العذبة حتى أولئك الذين يخالفونك في الرأى والفكر ، قد تأثروا لموتك .

بكيناك ، بكينا فيك العلم والكرم والوفاء والإخلاص والصدق والإيمان والتقوى والورع والعمل الدائب والتفكير السليم الواعي والشجاعة والجرأة في الحق .

والدي وشيخي إننا إذ نعاهدك نعاهد روحك الطيبة الطاهرة أننا على

دربك سائرون بنهجك عاملون ، لقد كنت مربيا ومرشداً في الطريق تضئ الطريق للغافلين ولئن حاولت النفوس المظلمة المريضة من أعداء الإسلام أن تقضى على هذه المعالم الإسلامية وأن تطفئ هذا النور ، خسئت وخابت لأن هذه الشعلة من النور ستمد نورها من نور الله وإن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

يا صاحب القلب الكبير يا صاحب العقل المنير : لا أدري عن أي شئ أتحدث بعد ، فإن القلم عاجز وإن البيان قاصر عن الوفاء بحقك ، لقد رحلت عن هذه الدنيا الفانية وأنت مرفوع الرأس عالي الجبين لم تطأطئ رأسك إلا للواحد القهار ولم تحن جبهتك إلا للعزيز الغفار ، لقيت الله لقاء الفرسان الشجعان الذين لم يعرفوا معاني الذلة والهوان والصغار ، لقد كنت شعلة من الإيمان الراسخ ونبراساً من التقوى الصادقة وطاقة هائلة من الحركة والعمل ، وكم كنا نسمع منك يا سيدي تقول للأطباء ولنا من فضل الله على : يرافقني خمسون عالماً في تجوالي للدعوة والإرشاد في المحافظات وغيرها ، كلهم يتعبون وأنا لا أتعب وثابت على قدمي والحمد لله على ذلك ، صحيح ، يا سيدي إن جسدك الطاهر فارق الدنيا ورحل عنا ولكن روحك الزكية لا تزال وسوف تبقى خالدة في قلوب مريديك وتلاميذتك ومحبيك ، فسلام الله عليك يوم ولدت ويوم ارتحلت ويوم تبعث حياً .

وإلى اللقاء - إن شاء الله تعالى - في جنة الخلد يا أبتاه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

ملاحظـــــــة :

كانت ولادة الوالد في قرية خزنه سنة ١٩٢٥م التابعة لمنطقة القامشلي - الحسكة ، أما الوفاة فكان يوم الجمعة ٢١/تموز ١٩٩٢م في مدينة دمشق ونقل جثمانه الطاهر بطائرة خاصة إلى مركزه الديني ومحل إقامته الدائمة في بلدة تل معروف التابعة لمنطقة القامشلي وتم الدفن يوم الأحد بجانب والده الشيخ أحمد الخزنوي وأنجاله .

طيبة الطيبة

شاعر طيبة الشيخ محمد ضياء الدين الصابوني
المدرس بالمعهد العالي لاعداد الأئمة والدعاة
بمكة المكرمة

قلب المتيم هائم بهواها ... هي (طيبةٌ) عم الوجود سناها
زرها و قبل تربة قد مسها ... قدم الحبيب ، من الجنان براها
كم ذا يكابد من يفارق مرغما ... و يحب من أجل الحبيب ثراها !
فتراه دوماً هائماً في روضها ... مستعبر العينين يدعو الله ...
متضرعاً في ذلةٍ و مهابة ... و الروح مصغية إلى نجواها
و سفينة الأشواق قد أرست بها ... في حيرة ، سبحان من أرساها
كم سالت العبرات في جنباتها ... كم صعدت أعماقنا الآها
إني إذا ذكرت لتهمى أدمعي ... و أعيش أيامي على ذكراها
ماذا أقول ؟ و قد شغفت بحسنها ... ملكت على عيني طيب كراها
كم ذكرياتٍ حلوةٍ برياضها ... و ليالي أنس في ربوع (قباها)
تحلو بها الأيام و هي مريرة ... حتى و لو جار الزمان و تاها
أيام أمرح ناعماً في جوها ... و تحنني بحنانها عيناها
يا عاشق(المختار) طب نفساً بها ... غمرتك بالآلاء ريّا شذاها
أني اجهت رأيت فيها أنفساً ... حرّى ، و تلثم في التراب شفاها !
و ترى يقبل تربها في لهفةٍ ... و يكحل العينين في رؤياها

الشمس تخجل من ضياء جبينها ... و البدر يقبس من بهيّ ضياها
(جبريل) يغشاها بآيات الهدى ... تتنزل الآيات في أرجاها
تلك (العرائس) كم تتيه بحسنها ... تحي وتنعش قلب من يهواها !
ما بين منبر (أحمد) و مقامه ... من جنة الفردوس قد سواها
الله باركها و بارك أهلها ... و جبالها وهضابها وثراها
اجد السعادة و السرور بقربها ... يا ليتني قد فزت في سكناها !!
إني و إن فارقت (طيبة) حقبةً ... لأحن من شوقٍ إلى لقياها
و أكاد للذكرى أذوب صبابةً ... و أنا الذي في حبها قد تاها
فلعل يجمعنا الزمان (بطيبة) ... أطفى أوار النفس في مغناها
غنيت (ملحمة النبوة) والهاً ... والله يعلم صدقها و تقاها
الودّ و الأخلاص لحمة نسجها ... و الحب و الإشراق كل سداها
(أحد) الحبيب يحبنا و نحبه ... و نزوره بعشيةٍ و ضحاها
قد ضمّ (حمزة) الشهيد بحضنه ... وحنا حنو المرضعات وباهى
و الله أسأل أن أقيم بأرضها ... و يضمنى بعد الممات ثراها
فالله أكرم من يحقق منيتي ... فأنا المتيم لا أحب سواها
صلى المليك على النبي و آله ... مادام ينفح في الوجود شذاها

===== =====
==== ====

صور و أوضاع :

لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه

واضح رشيد الندوي

كان الموقف الجديد الذي وقفه الاعلام العالمي إزاء قضايا المسلمين ومشاكلهم في العالم ، عنصر تفاؤل كبير ، فقد كان الاعلام دائماً يغفل معاناة المسلمين ، بل كان في كل حادث ، يرى من واجبه أن يقوم بإدانة المسلمين أنفسهم ، ويثبت أنهم أنفسهم أثاروا الفتنة ، فإذا كان المسلمون في أي منطقة عرضة لقتل ونهب كان المسلمون لا ينالون العطف ولا يثير شقاؤهم عواطف الرحمة ، في القلوب ، لأن الاعلام ودوائر الحكومة كانت تحول المسئولية إليهم ، فإذا حدث انفجار في منطقتهم وقتل عدد منهم ، كان يقال إن المسلمين كانوا يعدون قنبلة فانفجرت هذه القنبلة ، فكان أبناء المسلمين ، بل أعضاء الأسرة المنكوبة بالانفجار يعتقلون ويحاكمون ، وهكذا كان يزداد همهم وتتضاعف معاناتهم .

ومثل ذلك كان إذا وقع الهجوم على المسلمين ، وقام المسلمون بالدفاع عنهم ، فكان دفاع المسلمين عن أنفسهم يعتبر هجوماً ، فكان جهاز الأمن يستهدف المسلمين ، ويبطش بهم ، ويسجل ضدهم قضايا في المحكمة .

وقد تغير موقف الاعلام في الأيام الأخيرة ، وخاصة في الأحداث التي تلت الهجوم على المسجد البابري وتسويته بالأرض ، في عملية إجرامية ، تآمرية ، وكان من العوامل التي ساعدت على تكوين هذا الموقف هجوم

المهاجمين على المسجد ، على مراسلى الصحف ، ومصوريها ، و وقع هذا لهجوم الذي لا يوجد له نظير في العهد القريب ، بتعليمات وتوجيهات من قادة الحملة ، وكان هدفهم من ذلك اسدال ستار الكتمان على أعمالهم العدوانية التي خرقت جميع نواميس الأخلاق ، والعدل ، وأحكام القضاء ، وكرامة الأديان ، والإنسان ، فظهرت نتائج معكوسة ، وانقلب هذا الإجراء صدهم ، وثار الاعلام عليهم ، فقام الاعلام بدعاية معادية لهم ، وعرف العالم ما حدث في ضوء النهار ، كما يشاهد شاهد عيان ، وقد لعب الاعلام العالمي دوراً رائداً في ذلك ، كذلك الأحداث التي وقعت في مدن الهند الأخرى نقلت إلى المستمعين والمشاهدين في سائر أنحاء العالم كصور حية متحركة بدقة وسعة بواسطة الاعلام العالمي .

ومثل الأحداث في الهند كانت الأحداث في البوسنة والهرسك ، وقد عرف العالم بهذه التغطية الاعلامية ما يرتكب ضد المسلمين من جرائم ، وما هي ضخامة معاناة المسلمين .

كانت الأحداث التي وقعت في طاجكستان مؤلمة كذلك فقد اضطر مآت لألوف من الطاجكيين إلى الخروج من البلاد بتهمة انتمائهم إلى الإسلام ومطالبتهم بمنح الإسلام مكانته في النظام في بلاد المسلمين ، واجبروا على اللجوء إلى البلدان المجاورة ، وقتل آلاف منهم في الصراع المسلح ، وعرف العالم كيف تفرض على سكان المنطقة فلسفة ثبت فشلها ، وقد تخلى عنها البلد الذي كان موطن هذه التجربة الفاشلة ، وكيف أصبح هذا العدد الهائل من المشردين والمطرودين عبأ على البلد الذي يعاني نفسه من حرب دامت أكثر من ثمانية أعوام ، ويتحمل مسئولية اسكان ملايين من النازحين الذي شردتهم الحرب إلى البلدان المجاورة ، وقد تحطم اقتصاد

البلد ، ولا تزال الأزمة السياسية تهدد سلامة تلك البلاد ، ولم تستقر الظروف فيها ، لكنها آوت هؤلآء المشردين ونصرتهم لأنهم اخوة مسلمون ، فقامت بايوائهم ونصرتهم وهي في حاجة إلى ذلك بنفسها ، فكان ذلك مثالاً رائعاً للعواطف الإسلامية النبيلة ، ونصرة المسلمين .

إن المحن التي واجهها المسلمون أخيراً ، أثبتت للعالم وخاصة لمن تابع الأحداث ، شقاء المسلمين في مختلف أنحاء العالم ، ولا يستطيع العالم أن ينكرها ، فقد شاهد وقوعها بنفسه ، وعرف من يرتكب هذه الجرائم ، ومن يتعرض لها ، ولماذا ترتكب هذه الجرائم .

إن هذه المحن لم تكن من أجل القومية ، أو العنصرية ، أو الخلافات اللغوية ، أو النزاعات الاقطاعية ، أو الطبقية وإنما كانت من أجل العقيدة الدينية ، والثقافة المنبعثة من هذه العقيدة .

وكذلك عرف العالم أن الصراع السياسي في عدد من البلدان يجرى من أجل هذه العقيدة ، والثقافة المنبعثة من هذه العقيدة .

يعرف العالم بمشاهدة هذه الأحداث ، الفريقين ، الفريق الذي يعتدى ، والفريق الذي يُعتدى عليه ، والفريق الذي تقدم إليه المعونات ويرفد ، والفريق الذي يعاني ولا تقدم إليه المعونات ، ولا يرفد ، والفريق الذي يرتكب جرائم ويخرق قوانين دولية ، ولا يُدان ، ولا يتخذ إجراء ضده ، والفريق الذي يدان بدون ذنب له ، وإنما تلصق به تهمة الجرائم المصطنعة ، وتفرض عليه عقوبات .

لا يستطيع العالم أن ينكر هذا التمييز ، ولا يستطيع أن يتردد في إصدار حكمه على أساس هذه الوقائع لمن يقع فريسة لهذا الاعتداء .

كانت الحرب في عهد الاستعمار موجهة إلى الإسلام ، وكان المسلمون

محكومين ، ولكن لم يكونوا مضطهدين ، وقد انجلى هذا الكسوف ، وظهر وجه الإسلام في العهد الأخير ، وبدأ الناس يقبلون على الإسلام بعد أن درسوه دراسة موضوعية ، وعرفوا زيف دعاية الأوربيين ، وتلفيقهم ، وانتصر الإسلام بكسب عقول أوربية كثيرة ، وكذلك كان الإقبال على الإسلام في آسيا وافريقيا ، فيدخل الناس في دين الله أفواجاً .

لم يكن من الميسور وقف هذا الزحف ، وقد اعترف المبشرون أنفسهم أن الإسلام يتقدم وينتشر رغم ميزانيتهم الضخمة التي يصرفونها لنشر المسيحية ، وقد عرف العالم بتجربته وبدراسته أن الأديان والمذاهب الأخرى لا تحمل صلاحية لقيادة البشرية وأنها اخفقت في اسعادها ، وكان اخفاق الشيوعية التجربة الأخيرة في العالم الأوربي ، فوجه العالم المعادي للإسلام اهتمامه إلى ضرب المسلمين أنفسهم ، وتحطيم قوتهم .

إنه كان من المغالطات الكبرى أن الشيوعية سقطت بالهزة التي أوقعتها أوربا الغربية ، كما يدعى الأوربيون ، أو أن المسيحية هي التي اسقطت هذه النظرية ، فالحق أن الشيوعية تأكلت من أساسها ، و وهن عظمها وسقطت كما تسقط الخشبة التي تأكلها الأرضة ، ومن لا يعرف ، وهو يشاهد ما يحدث في روسيا الكبرى من معاناة ، وما يشاهد من مظاهر بؤس وشقاء ، ويشاهد اليوم من حروب ، وصراعات مسلحة ، إنه في الواقع سقوط نظرية كانت صناعية ، فرضت بالقوة ، والمكر والخديعة ، سقطت تلقائياً ، وإذا كانت هناك هزة من الخارج ، فإنه كان من المجاهدين الأفغان ، وستتضح هذه الحقيقة عند ما تنهار الدول الكبرى الأخرى التي تسيطر على العالم اليوم ولكن تأكلها من الداخل ، بدأت آثاره تظهر للعيان ، وستصل أوربا إلى عهدها السابق ، عهد التناحر ،

والصراع ، والتخلف ، ولا تستطيع الآلات ، والقوة العسكرية أن تمنع زوال أمة إذا فقدت شروط البقاء والحياة .

وقد ساعد الاعلام بنقل احداث العالم الإسلامي بهذا الطريق على تكوين تصور خاص في المسلمين أنفسهم ، وهو أنهم مضطهدون لأنهم مسلمون ، وأنهم واخوتهم في العقيدة في العالم كله يواجهون الشدائد ، وإن هذا التصور يوجد فيهم التصور العالمي ، ويوطد الاخوة الإسلامية ، ويثير فيهم العواطف الإسلامية ، و دوافع نصرة أخوتهم في المعاناة ، ويعرفهم بأعدائهم ، و وسائل اضطهادهم ويعرفهم بطرق مواجهة هذه المعاناة ، فيعرفون كيف يصبر اخوتهم في البوسنة والهرسك في هذه المحنة ، ويحتفظون بانتمائهم إلى الإسلام ، وقد أشارت إليه سفيرة البوسنة في باكستان أن هذه المعاناة قد زادت مسلمى البوسنة إيماناً ويقيناً ، وصبراً على المكروه ، وأنهم مستعدون لبذل أي تضحية في سبيل الإسلام ، كذلك يشاهدون صبر المسلمين في أماكن أخرى .

وهكذا كانت الأحداث في الهند، فقد عرف المسلمون كيف خانهم قادتهم ، وكيف خانهم القضاء ، والجهاز الإداري ، وكيف خسروا مسجدهم رغم الوعود، والعهود، وكيف ساعدت القوات الأمنية في تحقيق هذه المؤامرة ، فازدادوا إيماناً ويقيناً ، ثم كانت الأحداث الدامية عنصر تثبيت همتهم وثقتهم بالنفس ، ودافعاً قوياً إلى أن يلجأوا إلى الله ، ويستفتحوه ، وكان خير مناسبة ليقولوا :

لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه .

.....

صدر حديثاً :

« الحلول الشرعية للمشكلات المعاصرة »

قلم التحرير

وصل إلينا هذا الكتاب القيم الذي ألفه فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء ومدير قسم الدراسات الشرعية في ندوة العلماء .

تناول في الكتاب قضايا مهمة استجدت في العصر الحاضر بتأثير العوامل الحضارية المتطورة ، وقد درسها المؤلف الكريم في ضوء الكتاب والسنة ، وبحث عن حلولها العملية وجوانبها الإنسانية في ضوء دراسات وأقوال الأئمة الأعلام من المتجمدين والفقهاء على ما جاء في كتب الفقه الإسلامي الموثوق بها .

وتأتي المشكلات والقضايا المذكورة أدناه في رأس القائمة ، وهي ذات أهمية قصوى في الظروف الحضارية المتطورة التي يعيشها المسلمون في كل مكان :

مشكلـــــة قضية التأمين والبنوك ، الربا التجاري والقروض الحكومية ، مصارف الربا ، أداء الضرائب بأموال الربا ، قضية توظيف المرأة ، قضية الوظائف في شركات التأمين ، حقوق الطباعة والتأليف ، تبادل العملات بين البلدان ، قضية التصوير ، الفيديو ، التلفاز ، قضية تحديد النسل ، مولود الأنبوب ، استعمال الأعضاء الإنسانية والدم وبيع ذلك ، بنوك ألبان المرأة للرضاعة ، حقيقة « الكوحل » وحكمه ، تشريح لجسم ، الصلاة في الطائرة وتعيين القبلة فيها ، حكم الصلاة والصيام في لبلدان والمناطق غير المعتدلة ، إعطاء أموال الزكاة لبيوت الأموال

والمناطق غير المعتدلة ، الزواج بطريق المحكمة ، تعيين التاريخ القمري بالتقويم ، تفديم الأضاحي في الحج عن طريق البينك الإسلامي ، الذبائح الآلية ، التغنى بالنشيد الرسمي للجمهورية الهندية ونشر العلم الرسمي ، الجمعيات الخيرية والبنوك الغير الربوية ، سهام الشركات ، بيعها وشراؤها ، إلى غير ذلك من المسائل والمشكلات المتجددة التي تتجاوز مائة قضية ومشكلة .

إن هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب المعاصرة التي ألفت في هذا الموضوع ، فهو يتميز بالاحتواء العلمي والفقهي ويرد على كثير من التحديات التي يواجهها الإسلام في هذا العصر المتطور من قبل المشككين والمشككين وضعاف العقيدة من المسلمين الذين يعتبرون الفقه الإسلامي - من سوء حظهم - قاصراً حرجاً يعجز عن مواجهة القضايا المعاصرة وتقديم حلول إنسانية لها .

كما أن الكتاب يثبت خلود القانون الإسلامي الذي نعبر عنه بالفقه الإسلامي ، والذي يصلح لكل زمان ومكان في كل جيل وعصر ، ويحقق أن الإسلام دين طبيعي للإنسان يتفق والفطرة في كل حال ، وكلما تجددت الظروف والأوضاع توافرت لها إجابات وردود صالحة للعمل والتطبيق .

نقدم الكتاب كهدية علمية فقهية لجميع طبقات الأمة من المثقفين والحضاريين الجدد والذين يتابعون الإسلام في ضوء دراسات المستشرقين ، وقلما تسنح لهم فرص لدراسة الإسلام بمصدريه الأصليين ، وفي ضوء العلم الحديث والتطورات الحضارية . ولغة الكتاب أردوية .

تقبل الله هذا الجهد العلمي وجعله مشكوراً ومقبولاً لدى طبقات الأمة والمجتمعات الإنسانية كلها .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

الى رحمة الله

السيدة حرم الأستاذ المرحوم
السيد محمد الحسنى فى ذمة الله

استأثرت رحمة الله تعالى بالسيدة الفاضلة التقية حرم فضيلة الأستاذ المرحوم محمد الحسنى ، رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » سابقاً ، و ذلك صباح يوم السبت ، الرابع و العشرين من شهر شوال ١٤١٣هـ المصادف ، ١٧/ ابريل ١٩٩٣م ، عقب نوبة قلبية فوجئت بها قبل ثلاثة أيام ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة قد واجهت صدمة وفاة زوجها الكريم صديقنا الأستاذ السيد محمد الحسنى رحمه الله ، قبل ثلاثة عشر عاماً ، و عاشت مع أنجالها الثلاثة عيشة الصبر و الرضا بالقدر ، و الفقيدة ذات رحم ماسة بسماحة أستاذنا العلامة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و من أسرته الكريمة بالذات ، وهى أم فضيلة الشيخ السيد عبد الله محمد الحسنى الندوى ، مدير تحرير صحيفة « الرائد » و أستاذ بكلية الشريعة بندوة العلماء ، و الأخوين العزيزين السيد محمد عمار الحسنى الندوى و السيد بلال الحسنى الندوى .

و نحن إذ نعزى سماحة أستاذنا العلامة الندوى و الانجال الثلاثة و جميع ذوى القربى من هذه الأسرة الطيبة نبتهل إلى الله العلى القدير أن يتغمد الفقيدة بالرحمة و المغفرة و يجعل الجنة مثواها ، و يلهم الجميع الصبر والسلوان « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى » .